الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية العلوم الإنسانية
قسم الفلسفة

الموضوع :

فكرة الدين عند اسبينوزا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر
في الفلسفة

إعداد الطالب :
سفاري عبد الله

إشراف الأستاذ :
خشعي عبد النور

السنة الجامعية : 2017/2016

شكر وعرفان

أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ خشعي عبد النور الذي أبى إلا أن يكرمني بقبوله واستعداده للإشراف على هذا البحث ، وعلى مساندته لي معنويا وتشجيعاته لي فله مني كل الشكر والامتنان .

كما أتوجه بالشكر والعرفان لكل الأساتذة الذين درسوني في مرحلة الماستـر.

إلى كل الزملاء ، إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد ، وللآخرين أيضا الذين غابت أسماؤهم عني ، إلى كل هؤلاء الشكر والتقدير والاحترام .

الياس سفاري

إهداء

إلى من تتسابق الكلمات لتخرج معبرة عن مكنون ذاتها ، إلى من علماني وعانا الصعاب

لأصل إلى ما أنا فيه ، وعندما تكسوني الهموم أسبح في بحر حنانهما ليخفف من آلامي

....أمي وأبي حفظهما الله .

إلى من كانت دعواتهم صدى في أذني ، ونظرتهم إلي تحمل الفرحة دائما أخواتي وأخوي .

إلى أرطغرل إلى إبتهال محمد أنس زكرياء و مرام و كل الأصدقاء بلا استثناء احتراما

وتقديرا ....

الياس سفاري

خطة البحث

مقدمة :

الفصل الأول : الخلفية الفكرية لفلسفة اسبينوزا الدينية .

- عصر النهضة .
- النزعة الإنسانوية .
- الأوضاع الإقتصادية والسياسية والفكرية والدينية في هولندا .
- فلسفة اسبينوزا والعقلانية الديكارتية .

الفصل الثاني : جوهر الدين عند اسبينوزا و الإنتقال من الأخلاق إلى السياسة .

- النص الديني ولغة الكتاب .
- تطبيق المنهج على النصوص الدينية .
- الأخلاق والدين .
- الدولة العلمانية .

الفصل الثالث : النقد الديني عند اسبينوزا .

- الله والعـــالم .
- العلاقة بين العقل والنقل .
- النبوة والمعجزات .
- نقد ونقييـــم .

خاتمة :

المقدمة

مقدمة:

إن الباحث في تاريخ الفكر الإنساني وبالعودة إلى مراحل الفلسفة الأولى يجد أن تلك الفلسفة كانت تقدم دراسات عامة حول الظواهر والإشكاليات التي تواجهها ،إذ أنه لم يكن هناك فصل لمبحث عن أخر لكن مع نهاية القرون الوسطى وبداية العصر الحديث بدأ الانسلاخ بين القضايا الفلسفية فأصبحت الفلسفة تقوم بحل كل إشكالية على حدى ولعل من أهم المعضلات التي تعرض لها الفلاسفة هي مشكلة الدين الذي يشكل نقطة مركزية في حياة الأفراد .

لقد فرضت هذه المشكلة نفسها نتيجة الاختلاف بين أسس وقوانين الدين على اعتبار أنه يهتم بدراسة الجانب الروحي وعلاقة الإنسان بالله ، وقد ظهرت هذه القضية في العصر الحديث مع الفيلسوف باروخ اسبينوزا الذي لفت الانتباه إلى ضرورة معرفة ما يقدمه الدين ، ويعتبر اسبينوزا أول من اهتم بقضية الدين حيث بين أن الدين هو تجسيد وإدراك لوجود الله معتمدا في ذلك على عدة براهين .

وما يميز الفلسفة الدينية الاسبينوزية هو دمجها للعالم الخارجي مع الله منطلقا من فكرة وحدانية الوجود إذ أن كل ما هو موجود يعود في أصل وجوده إلى الله وأن جميع الموجودات ذات جوهر واحد ، وقد وضع صنفين للوجود أطلق عليهما مصطلح الطبيعة الطابعة والطبيعة المطبوعة حيث ترمز الأولى إلى الله والثانية إلى الكون أي أن الله هو الذي طبع هذا الكون الذي يعتبره اسبينوزا جزءا منه أي من الله ، حتى أنه أتهم بالإلحاد جراء نشر فكره الديني .

لقد ذهب اسبينوزا الى رفض العقيدتين المسيحية واليهودية وتوصل إلى أن مايقوم به رجال الدين والكنيسة من أفعال وأقوال مخالفة تماما لما جاء به موسى وما جاء به المسيح إذ أن الدين أصبح وسيلة لتحقيق منافع لسلطة الكنيسة ، وهذا ما دفعه إلى رفض الدين فهو يدعو إلى ضرورة فصل الدين عن الدولة على اعتبار أن الدين يشكل عائقا أمام الحرية الفكرية.

لقد تضمنت هذه الدراسة إشكالية محورية هي – ماذا يمثل الدين عند اسبينوزا وكيف كان موقفه منه؟ تتفرع عنها مجموعة من التساؤلات : – إلى أي مدى يمكن اعتبار الدين حاجزا أمام الحرية الفكرية؟ – وهل يمكن القول أن الدين يجب أن يفصل عن السياسة؟.

وانطلاقا من هذه التساؤلات تعين أن تكون خطة البحث كالآتي ، جاء الفصل الأول تحت عنوان الخلفية الفكرية لفلسفة اسبينوزا الدينية وتندرج تحته عدة مباحث كان الأول منها عن عصر النهضة أما الثاني فكان عن تلك النزعة الإنسانوية التي غيرت توجه المفكرين والفلاسفة مع بزوغ فجر النهضة في حين أن الثالث

خصص لتلك الأوضاع التي سادت في هولندا آنذاك وجاء المبحث الأخير عن العقلانية الديكارتية وأثرها على التوجه الفكري لاسبينوزا .

أما الفصل الثاني فتناولنا جوهر الدين عند اسبينوزا والإنتقال من الأخلاق إلى السياسة مقسما إلى أربعة مباحث أولها عن النص الديني ولغة الكتاب المقدس وثانيها عن تطبيق المنهج على النصوص الدينية أما ثالثها فخص الأخلاق والدين ليأتي رابعها عن الدولة العلمانية.

وسلط الضوء في الفصل الثالث والأخير عن النقد الديني ليشمل الحديث فيه عدة عناصر كمسألة الله والعالم ، والعلاقة بين العقل والنقل إضافة إلى تناول مسألة النبوة والمعجزات ليُختتم الفصل بنقد وتقييم لفلسفة اسبينوزا الدينية .

أما المنهج المتبع فقد اتبعنا المنهج التحليلي لتحليل موضوع الدراسة وكشف توجه اسبينوزا الديني وقد دفعتني مجموعة من العوامل لمعالجة هذا الموضوع كالرغبة في اكتشاف فكر اسبينوزا والتعمق فيه ومحاولة إظهار مدى تأثيره في فلسفة العصر الحديث والمعاصر ساعيا إلى تحقيق بعض الأهداف المرجوة من هذا البحث للفت الانتباه لفكر هذا الفيلسوف ومدى أهميته معتمدا في ذلك على عدة مصادر ومراجع كان أهمها رسالة في اللاهوت والسياسة إضافة إلى كتاب علم الأخلاق وغيرهما من المراجع .

وبطبيعة الحال فإن كل البحوث لا تكاد تخلو من المعوقات والصعوبات على غرار بحثنا هذا الذي واجهته صعوبات تتعلق بندرة المراجع باللغة العربية التي تخص فكر هذا الفيلسوف ، إلى جانب صعوبة ترجمة المراجع من اللغة الأجنبية دون أن ننسى صعوبة فهم هذا الفكر الذي يتصف بالغموض ويحتاج إلى دراسة تحليلية فلسفية عميقة وفي الأخير نتمنى أن نُفيد ونستفيد ولو بالنزر اليسير .

الفصل الأول : الخلفية الفكرية لفلسفة اسبينوزا الدينية .

- عصـــــر النهضـــة .
- النزعـــة الإنســـانـــويـــة .
- الأوضاع السياسية والاقتصادية والفكرية والدينية في هولندا .
- فلسفة اسبينوزا والعقلانية الديكارتية .

المبحث الاول : عصر النهضة الأوربية :

لقد تم الانتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة في أوروبا بشكل تدريجي فكان عصر النهضة * مرحلة انتقال بين العصور الوسطى والعصور الحديثة ، فبعد أن عرفت أوروبا في العصر الوسيط حالة من الزهد في الدنيا كمحصلة أو نتيجة لهيمنة وسيطرة رجال الكنيسة على مختلف شؤون الحياة باعتبارهم علماء في الدين ، فضايقوا المفكرين وحاربوهم بقسوة واحتكروا زعامة المجتمع ما أدى إلى تفشي الجهل وانتشار الخرافات ، لأنه في العصور الوسطى كان اللاهوت والفلسفة فرعي التعليم الرئيسيين الذين زعما أنهما يؤديان إلى الرؤية الصحيحة ، وكان وجود العلم الطبيعي كما نفهمه نادرا في الثقافة الأوربية .[1]

إن عصر النهضة هو العصر الذي شهد حوادث وتطورات عظيمة وتبدلات عميقة في أنظمة الدول وفي سماء أوروبا وحتى في علاقة هذه القارة مع القارات الأخرى ولذلك تختلف حوادث القرن السادس عشر اختلافا كليا عما نعرفه في العصور الوسطى التي أخرت ركب الحضارة فتفتحت أوروبا عن حضارة زاهية وإنسانية جديدة حافلة بالقوى الثورية الجديدة التي تغلبت على القوى التقليدية المحافظة وتجلت تلك القوى الثورية في شتى المجالات الفكرية والدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ولقد قُدّر لايطاليا أن تقود ركب النهضة الأوربية من خلال الحركة الإنسانية والتي وصلت آثارها إلى ما وراء جبال الألب لتطال فرنسا وألمانيا وانجلترا ، فبعد العصور الوسطى وتلك الحقبة التاريخية التي رسّخت في ضمائر الناس فكرة مؤداها أن العالم سراب كاذب ، وبأن كل ما هو أرضي أو مادي أو جسدي تافه ينبغي العمل على إذلاله بل وإماتته ، غير أنه مع انتشار التعليم ووصول المؤثرات الحضارية إلى أوروبا تنبه الناس إلى قيمة الحياة وجوانبها الايجابية التي لا تتعارض مع السعي الروحاني فأخذوا ينظرون إلى العلم نظرة مختلفة ، وقد شملت هذه النظرة الجديدة كل مناحي الحياة .[2]

---

*- النهضة : مصطلح يطلق على القرنين الخامس عشر والسادس عشر وهو يدور حول إعلاء الفردية وإحياء التراث واكتشاف الإنسان والعالم على نحو مغاير لما حدث في العصر الوسيط (أنظر:مراد وهبة ، المعجم الفلسفي ، مادة النهضة ،دار قباء الحديثة ، القاهرة ،2007 ، ص657).

[1]- غنار سكيربك ،نلز غيلجي ، تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة إلى القرن العشرين، تر: حيدر حاج إسماعيل ، مراجعة نجوى نصر ، المنظمة العربية للترجمة ،ط1، بيروت ،2012 ، ص 245 .

[2]- إسحاق عبيد ،عصر النهضة الأوربية ، دار الفكر العربي،(د.ط) ، القاهرة ، 2006 ، ص 04 .

أسباب قيام النهضة في ايطاليا :

لم تبدأ النهضة الأوربية في كل أوروبا في وقت واحد ، لكن بدايتها كانت في جنوب القارة وفي شبه جزيرة ايطاليا بالذات وكانت هذه البداية بمثابة الإعداد للانقلاب الذي عم أوروبا فيما بعد وتعود بداية النهضة الأوربية وقيامها بالذات في شبه جزيرة ايطاليا قبل غيرها من الأقطار الأوربية إلى جملة من الأسباب والعوامل لعل من أبرزها موقعها الجغرافي فهي تمتلك موقعا ممتازا وسط البحر الذي قامت على ضفافه أقدم الحضارات وأعرقها فكانت حلقة وصل بين أوروبا والحوض الشرقي للبحر المتوسط ، إضافة إلى أنها كانت مركزا للنشاط الاقتصادي والتجاري ، دون أن نغفل سببا آخر وهو تاريخ ايطاليا الحضاري فهي مهد الحضارة الرومانية ما حفزهم على استعادة المجد ، وكذلك توفرها على السلام الذي يساعد على النهضة العلمية .[1]

لقد اشتد التنافس على تجميع العلوم والآداب والفنون بين الأسر الحاكمة في ايطاليا واعتبار ايطاليا مقر الزعامة الدينية في أوروبا من خلال وجود البابوية في روما فصارت قبلة العالم المسيحي وما تبعه من إنشاء المكتبات على غرار مكتبة الفاتيكان ، كل هذا إلى جانب سبب أخر يتعلق بطبيعة الشعب الايطالي نفسه الذي يميل إلى الفنون وحب الموسيقى والرقص والشعر والأدب وغيرها ، وهكذا ساعدت هذه الظروف على أن تبرز معالم النهضة في ايطاليا قبل غيرها من الدول الأوربية التي أخذ طلابها فيما بعد عن ايطاليا وصاروا شعلة في بلدانهم لتعم مظاهر النهضة على كل أوروبا [2] . بمعنى أن النهضة لم تنطلق في ايطاليا من فراغ ، بل كانت نتيجة لجملة من العوامل في مختلف المجالات الفكرية والفنية والدينية ...الخ .

سمات عصر النهضة :

أولا : الحركة الفكرية :

تعتبر الحركة الفكرية من أهم مميزات عصر النهضة الأوربية فقد فرضت الكنيسة في العصور الوسطى حصارا على الفكر وقيدا على كل ما يتصل بالإنتاج الفكري من ابتكار أو محاولة الخروج عن المألوف ، ومن المظاهر الفكرية التي يعرف بها عصر بها النهضة هي إحياء التراث اللاتيني وكان هذا الإحياء هو أول المظاهر التي دلت على وجود عصر جديد يولد في أوروبا ، فعصر النهضة هو عصر إحياء الدراسات القديمة ومن ثم تم إحياء التراث الروماني واللاتيني ولكن على شكل حديث ، فقد كان التراث اللاتيني في عصر النهضة يعبر تعبيرا صادقا

[1] – شوقي عطا الله : عبد الله عبد الرزاق إبراهيم ، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة،المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، (د.ط) القاهرة ،2000، ص9 .

[2] – نفسه ، ص12.

عن الحياة المدنية ومشاكل الناس على عكس ما كان حاصلا في العصور الوسطى ،لأن أساتذة ذلك العصر لم يهتموا بذلك التراث بل كان جل اهتمامهم بالفلسفة والدين وربما للكنيسة دور في ذلك وبإيعاز منها . لتعرف تلك الحركة الفكرية مع بزوغ فجر النهضة تحررا من ترسبات الماضي في العصر الوسيط والتضييق عليها ودفع عجلة الفكر نحو التقدم ومن أجل حرية فكرية أكبر .[1]

حركة إحياء العلوم :

كذلك اتجه الاهتمام بعد ذلك إلى التراث الإغريقي الذي كان محدود الانتشار فيما قبل ، وقد حدثت محاولات للتقارب بين التراث الإغريقي والتراث الروماني بين حكام مدن هذا العصر. فقامت ايطاليا بإرسال بعثاتها العلمية للدراسة والبحث في التراث الإغريقي ونجحت هذه البعثات إلى حد ما[2] ، ولكن الشيء الأكثر تأثيرا في هذا المجال هو قدوم عدد من المفكرين البيزنطيين إلى ايطاليا والتدريس فيها .

لقد شهدت حركة إحياء التراث تنقيب المثقفين عن الآثار المختلفة والمخلفات الأدبية اليونانية والرومانية القديمة ويحاولون دراستها والاستفادة منها ، فاهتم الدارسون والباحثون بالدراسات الإنسانية ، واهتموا بالإنسان نفسه وهذا يعتبر شيئا جديدا في التاريخ البشري ، فقد تناست العصور الوسطى إنسانية الإنسان واهتمت فقط بصفاء روحه وقربه من الله ولم يكتف الدارسون بالدراسة العميقة للإنتاج الفكري القديم ، بل بدأوا يحاولون محاكاة أولئك الكتاب القدامى في طريقة وأسلوب الكتابة، وقد اعتمدت حركة إحياء العلوم على دراسة المخطوطات الإغريقية واللاتينية التي بحثوا عنها في الكنائس والأديرة .[3] ولكن حركة إحياء العلوم لم تكن هي النهضة ذاتها ، بل هي مظهر من مظاهرها وبداية طيبة لها لتساهم بذلك دراسة التراث القديم في إعادة بعث الحركة الفكرية .

ظهور اللغات القومية واكتشاف الطباعة :

لقد نتج عن تلك الحركة (إحياء العلوم) ظهور المكتبات ، إضافة إلى ظهور اللغات الحديثة (اللغات القومية) فبعد أن كانت اللاتينية هي لغة العلم والكتابة في العصور الوسطى ليتضاءل استخدامها حتى أصبحت مقتصرة على رجال الكنيسة ، وأصبحت تلك اللغات القومية صالحة لتدوين العلم والآداب ،فصارت من مميزات عصر النهضة .كما نجد اتساع الطباعة وتطويرها لخدمة العلم والمعرفة وتعتبر الطابعة أهم اختراع ظهر في عصر النهضة وقد أسهمت في إثراء الحياة الثقافية على مر العصور والحقب الزمنية.

---

[1]– إسحاق عبيد ، عصر النهضة ، ص11 .

[2] – عبد العزيز سلمان نوار ، محمود محمد جمال الدين : التاريخ الأوربي الحديث ، دار الفكر العربي ، (د.ط)،القاهرة ،1999 ،ص14.

[3]– عبد الحميد البطريق، عبد العزيز نوار ، التاريخ الأوروبي الحديث ، دار الفكر العربي ،(د.ط) ، القاهرة، 1998، ص30.

الاهتمام بعلم التاريخ والآثار والفنون :

ومن المظاهر الثقافية التي شهدها عصر النهضة أن الدراسات التاريخية بالذات أصبحت تقوم على أسس علمية وصار علم التاريخ يقوم على المصادر الأصلية ، والوثيقة التاريخية تمر بمراحل حتى تثبت صحتها من عدمها وكذلك شهد عصر النهضة اهتماما خاصا بدراسة الآثار والتنقيب عنها رمزا لدراسة حضارة وتطور شعب من الشعوب . أما فيما تعلق بالفنون الجميلة فقد كانت الفنون مزدهرة في العصور القديمة لكن فرضت عليها القيود في العصور الوسطى مما أدى إلى انحطاطها لأنها كانت تتجه لخدمة الكنيسة والأغراض الدينية فحسب [1] ، فالحركة الفكرية في عصر النهضة أعطت أهمية للدراسات التاريخية على اعتبار أنها صفحة مجد ورمزا للحضارة .

العلوم الحديثة والمنهج العلمي في البحث :

يعتبر التقدم العلمي من أبرز مظاهر النهضة الحديثة وقد أتاح لهذا التقدم المنهج الذي أصبح سائدا في البحث العلمي وهو ما يطلق عليه المنهج العلمي في البحث بعد أن كانت الحياة العلمية في العصور الوسطى مقيدة بقيود الكنيسة ولذلك كانت الكشوف العلمية نادرة ولم يستطع المشتغلون بالعلم أن يفكروا بطريقة فردية ، واضعين أعينهم على تطابق العلم بما ترضى عنه الكنيسة ، بينما كان بعض الباباوات يحاربون أية دراسة حرة إذا لم تتماشى مع الدراسات الدينية ، وقد ساعد اتصال الأوربيين بالحضارة الإسلامية في الدفع بالنهضة العلمية التي لم تكن علمية حقيقية في البداية ثم بلغت عظمتها في القرن السابع عشر فاهتموا بتحقيق النظريات العلمية ووصف ظواهر الطبيعة وصفا قائما على الملاحظة والعلوم الرياضية.[2] ليشمل التطور العلمي مختلف النواحي وتصبح العشوائية غير مرغوب فيها في المجتمعات الأوروبية مع تشجيع التقدم الذي أحرزه الإنسان.

ويقوم ذلك المنهج الذي أصبح سائدا في البحث العلمي (المنهج العلمي) على أن الدراسة العلمية لابد أن تمر بمراحل : فرض الفروض ثم إجراء التجارب ، وبعدها محاولة تطبيق النتائج الايجابية على الحالات المختلفة ، وأخيرا ما يثبت صحته منها يصبح أساسا للنظريات العلمية. هذه الأخيرة تصبح صحيحة ما لم تثبت عكسها وهي قابلة للتعديل ، وقد شمل التطور العلمي مختلف النواحي في المجتمعات الأوربية فظهر التقدم في المواصلات وتبادل المعرفة والاتصال والجانب الطبي ...[3] لتعرف بذلك حياة الإنسان الأوروبي قفزة نوعية وتقدما علميا ملحوظا شكل أهم مظاهر النهضة آنذاك .

---

[1] – شوقي عطا الله الجمل ،عبد الرزاق إبراهيم قسوم ، تاريخ أوربا من النهضة حتى الحرب الباردة ، ص17

[2] – عبد الحميد البطريق ، عبد العزيز نوار ، التاريخ الأوربي الحديث ، ص 37.

[3] – شوقي عطا الله الجمل ، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم ، تاريخ أوربا من النهضة حتى الحرب الباردة ، ص 20 .

الكشوفات الجغرافية :

لقد كانت حركة الكشوفات الجغرافية نتيجة من نتائج النهضة الأوربية والتقدم العلمي وتتضح أهمية الكشوفات إذا أدركنا كيف كانت المعلومات الجغرافية لدى الأوربيون وكيف يستمدون معلوماتهم عن المناطق الداخلية والبعيدة في آسيا وإفريقيا مما كان يردده التجار الايطاليون المترددون على مختلف الموانئ ، هذا بالإضافة إلى المعارف التي كانت تصل بالملاحة في المحيط الأطلسي الجنوبي ، والأفكار الخاطئة المتعلقة بشكل الأرض .

وقد ساعدت عدة عوامل على نجاح الكشوفات الجغرافية على غرار العوامل الاقتصادية من خلال بحث سبل للتهرب من الرسوم الجمركية المفروضة على السلع ، إلى جانب العوامل الدينية مثلما كان مع حركة التبشير واكتشاف مناطق غير معروفة ، وعوامل إستراتيجية وسياسية تتعلق بأهمية الموقع في المجال الحربي .[1] وهنا يمكن القول إن الكشوفات الجغرافية هي الوجه المضيء للنهضة الأوروبية من خلال كشف مناطق جديدة في الأمريكيتين وإفريقيا .

ثانيا/ التغيرات الاجتماعية :

لقد أحدثت النهضة تغيرات عميقة في المجتمع الأوروبي واتسمت بالحرية ، فتحول الأمر من تقييد كامل للحرية إلى النقيض ما أدى إلى تدهور في القيم الأخلاقية في المجتمعات الأوروبية بصفة عامة والايطالي خاصة ، حرية لا تعرف حدودا واستهانة بالآداب وخروجا عن التقاليد والأخلاق بسبب ضعف الوازع الديني والثراء الذي صاحب الثورة الاقتصادية ، ويعتبر الكثيرون أن من أهم مظاهر النهضة ونتائجها السلوك الفردي المتحرر .

ثالثا/ ظهور نظريات سياسية جديدة :

لقد شهد عصر النهضة فترة انتقالية وتغيرات على مختلف المجالات على غرار المجال السياسي فكان ظهور الدولة القومية الذي جاء نتيجة مؤثرات وعوامل منها انهيار النظام الإقطاعي كنظام إداري ، فقد كان الإقطاع يقف حائلا دون ظهور عامل الانتماء إلى الوطن الأم فلم يكن أفراد ذلك النظام يدينون بالولاء إلا للسيد الإقطاعي والذين كانوا يعيشون في كنفه و مع بداية العصر الحديث تحرر هؤلاء من ذل الإقطاع .[2] مع تدهور الكنيسة التي كانت مهيمنة على الحياة في أوروبا وكان نفوذ رجال الدين عاليا وسيطرت الكنيسة على كل النواحي.

[1]– شوقي عطا الله الجمل ، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم ، تاريخ أوربا من النهضة حتى الحرب الباردة ، ص 23.

[2]– عبد العزيز سليمان نوار ،محمود محمد جمال الدين ، التاريخ الأوربي الحديث ، ص33.

رابعا/ الإصلاح الديني :

لقد بلغ الظلم أشده في أوروبا في العصور الوسطى مع قيام محاكم التفتيش ما زاد من حدة التوتر الحاصل آنذاك و دخل الباباوات في صراع مرير مع السلطات العلمانية ، وشاعت الأقاويل عن سوء ملك كبار رجال الدين وخاصة شراء وبيع المناصب الدينية بالرشوة ، ما نتج عنه موجات غضب جارفة ضد تعنت وجمود الكنيسة ما أثار حفيظة من أفقرتهم ولا سيما الكاثوليك المخلصون ، الذين بدأوا يكيلون الاتهامات ، وحيال هذا التسلط والتردي الديني والأخلاقي الذي عايشته الكنيسة ، كان لابد أن يشعر البعض بضرورة القيام بشيء ما ، فاستشعر الكثير ضرورة الإصلاح والذي لم يبدأ مباشرة بالقفز إلى البروتستانتية التي كان من ابرز أعلامها رجل الإصلاح الديني مارتن لوثر الذي كان يعمل على إصلاح الكنيسة دون أن يطيح بها وساهم بنشاطه الإصلاحي في تخليص الكنيسة من كثير من التقاليد والممارسات الخاطئة .[1] فكانت الدعوة إلى إصلاح الكنيسة والحد من تجاوزاتها واضطهادها للناس كمقدمة نتج عنها فيما بعد إقصاء الكنيسة و وقف سيطرتها على حياة الإنسان الأوروبي والتدخل في كل تفاصيلها.

لقد أدى الفساد الذي كانت تمر به الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر الميلادي إلى تهيئة الأوضاع المناسبة لقيام الحركة الإصلاحية الدينية ،بعد انتشار الكثير من الرسائل التي يحتج فيها رجال الإصلاح الديني الذين يتقدمهم "مارتن لوثر" على فساد الكنيسة ، فكانت تلك الرسائل إعلاناً تاريخياً عن بدء الحركة الإصلاحية البروتستانتية التي أحدثت انشطاراً في الكنيسة ،التي تم كبح سيطرتها فيما بعد وتدخلها المستمر في كل شؤون حياة الإنسان الأوروبي فكانت بذلك حركة الإصلاح الديني حركة جريئة.

[1]-إسحاق عبيد ، عصر النهضة ، ص65.

المبحث الثاني : النزعة الإنسانوية

لقد كان يُنظر إلى العصور الوسطى على أنها عصور من الظلام عاش فيها الغرب إبّان حكم الإمبراطورية الرومانية، حتى لاح عصر النهضة وبدأ فجر جديد تغيرت معه نظرة الإنسان في مختلف المجالات .

فبدأت نظرة العصور الوسطى للعالم في الاختفاء خلال القرن الرابع عشر وأخذت تظهر بالتدريج قوى جديدة عملت على تشكيل العالم الحديث، فشكل بذلك عصر النهضة حركة فكرية جديدة ازدهرت فيها مختلف تلك الأنشطة الفكرية وأصاب الاضمحلال مختلف الاتجاهات التي كانت سائدة في العصور الوسطى وبدأت الثورات تنشب ضد الدين المسيحي وظهرت مظاهر الإصلاح الديني على أيدي الرجال أرادوا تنقية الدين من التزييف من أمثال مارتن لوثر. لتسود المناهج العلمية على اعتبار أنها السبيل لتحقيق التقدم المادي فظهرت مختلف الاختراعات وغيرها من مظاهر النهضة ولكن الإنسان وجد نفسه قد أسرف في البحث عما يدور حوله في العالم وأسرف في الاهتمام بما قد يحدث له في العالم الآخر وأدرك بأن ما لديه من قوى كامنة كافية لتحقيق سعادته ، فأخذ يبحث عن الوسائل للتعبير عن ذاته بقوة ووضوح لذلك عرفت بالنزعة الإنسانية ، هذه الأخيرة التي امتدت بين (1450-1600)[1]، ليتجه اهتمام الباحثين إلى الإنسان الذي مجدته الحركة الإنسانية واحترمت عقله واهتمت بالدراسات الإنسانية من خلال دراسة التراث اليوناني والروماني القديمين ، وكان من الطبيعي أن تتحول الأنظار بصفة خاصة في عصر النهضة إلى التراث اليوناني ، لأن مفكري عصر النهضة وجدوا في هذا التراث إكبار للعقل الإنساني وقيمته وكرامته وهي أمور قضت عليه العصور الوسطى المسيحية ولم يكن لها مكان بجوار الكنيسة ، إذ أن تلك الحياة الدينية لا يمكن أن تؤدي إلى كرامة الإنسان واحترام عقله وتنتهي إلى طمس العقل وقهر أو إهدار إنسانية الإنسان [2]، لتكون تلك النزعة بمثابة الانتفاضة التي عبرت عنها النهضة الأوروبية باعتبارها تغير في الفكر نجم عنه التغيير في جميع شؤون الحياة .

إنّ قدوم عصر النهضة قد حمل في طياته إحياء للتراث القديم كونه حافظا لكرامة الإنسان ومحترما لعقله ،وبالرغم من أن التراث اليوناني وثني في طابعه العام ولم يقدم عن الله والألوهية إلا صورا لا تتفق مع التي قدمتها الأديان المنزلة فقد وجد رجال عصر النهضة ومفكريه أوجه شبه بين المجتمع الأثيني في الفترة الممتدة بين القرنين الثامن والخامس قبل الميلاد ، والمجتمع العبودي والإقطاعي الذي كان سائدا قبل ذلك في كل من أثينا وأوربا ، وما

[1]- أمل مبروك ،الفلسفة الحديثة ,التنوير لطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط) ، بيروت ,2001,ص33.

[2]- يحي هويدي ،قصة الفلسفة الغربية ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ، (د.ط) ، القاهرة ،1993،ص43.

عقب ذلك ببزوغ فجر النهضة فجر جديد ينادي بالحرية الفردية والاقتصادية وشيوع الديمقراطية والنزعة الإنسانية[1] .

إن النزعة الإنسانية هي تلك الفلسفة التي تضع الإنسان والقيم فوق كل شيء ، إنها النزعة التي تثق بالإنسان وتتفاءل بإمكانياته وأنه قادر على صنع التقدم الحضاري ،وقد ظهرت هذه الحركة في ايطاليا ثم انتشرت في باقي أنحاء أوروبا في القرن السادس عشر وهي تعتبر الإنسان أفضل الكائنات وأرقاها، عندئذ عاد المفكرون الأوروبيون إلى النصوص اليونانية والرومانية التي كانت عرضة للإهمال والنسيان خلال العصور الوسطى المظلمة والمفعمة بالجهل المقدس المسيحي فعاودوا اكتشاف ما قبل المسيحية من نصوص فلاسفة الإغريق ، ومن بين أهم المفكرين والشعراء أصحاب النزعة الإنسانية الايطالي "بتيرارك" وغيره ممن ضاقوا ذرعا برجال الدين ومواعظهم وأفكارهم التقليدية محاولين الخروج من ذلك الجو المغلق للعصور الوسطى بالعودة إلى أجواء اليونان والرومان، حيث كانت الحرية متوفرة وبدأوا في ترجمة كبار الكتب إلى اللغة اللاتينية أو اللغات القومية الأوربية كالإيطالية والفرنسية والانجليزية والألمانية التي كانت في طور الانبثاق آنذاك[2]. حتى أن مصطلح الإنساني كان يطلق على المفكرين الباحثين في مختلف أشكال العلم خاصة علوم القدماء من اليونان والرومان ،وقد كان ظهورهم في ايطاليا أولا قبل أن يظهروا في باقي أنحاء أوربا.

ويناسب ظهور المذهب الإنساني عموما عصر الإصلاح الديني وعصر النهضة في أوروبا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ميلادي ، حيث بدأ التحول في تلك الفترة من الدين إلى العلم ومن الله إلى الإنسان ، وينسب ظهور النزعة الإنسانية إلى "بتيرارك" (1304-1374) وسلوتاتي (1331-1406) لتعني بذلك المهتمين والمتعاطين لموروث قدماء الكُتّاب . وهكذا نجد أن عصر الإصلاح الديني وعصر النهضة تزامنا مع ظهور النزعة الإنسانية ، هذه الأخيرة جعلت الإنسان في مركز اهتماماتها وليس الله والتأكيد على حرية الإنسان والعودة إلى المنابع من خلال دراسة النصوص القديمة اللاتينية واليونانية [3] .

---

[1]- يحي هويدي ،قصة الفلسفة الغربية ، ص47.

[2]- هاشم صالح ،كيف نشأت النزعة الإنسانية في الفكر الأوروبي ؟ ، الشرق الأوسط ، 15 ديسمبر 2015، العدد 13531.

[3]- مصطفى كحيل ، الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون ،أطروحة دكتوراه منشورة ، قسم الفلسفة ، كلية العلوم الإنسانية ،جامعة منتوري قسنطينة 2007-2008 ، ص 49.

لقد غلب على الإنسانيين وخاصة في ايطاليا الاعتزاز بالنفس والثقة في الإنسان وعظمته والإقرار بقدرته على التغيير وتحقيق مثله العليا معتمدين في ذلك على دراسة المخطوطات الإغريقية واللاتينية والتي جرت عملية البحث عنها في الكنائس والأديرة في شبه الجزيرة الايطالية وفي ألمانيا وغيرها ، فاهتم حكام الولايات الايطالية بذلك وأرسلوا وفودا من الباحثين للتنقيب عنها وشرائها متنافسين بذلك في سبيل الحصول على أكبر قدر ممكن من هذه المخطوطات[1].

لقد ظهرت النهضة بمظهر الرجوع إلى القديم ، والإنسانيون هم كل من تبنوا المثل الأعلى للنهضة مبدين شغفهم بالتراث والآداب والفنون القديمة ، وكان الإنسانيون بمثابة رسل العالم القديم زاعمين وعازمين على إحيائه ومحاولين بذلك إعادة بعثه بفهم ذاته وتذوق جماله الإغريقي ، فصار ذلك التراث القديم بمثابة الوسيلة بالنسبة لهؤلاء الإنسانيون كونهم يسعون إلى الحياة الأخرى غير تلك التي كانت سائدة في العصر الوسيط ، حياة يشعرون بها ففهموا العصر الوسيط أكثر مما فهمه رجال العصر الوسيط أنفسهم [2]. لأن الإنسان الأول كان مكبلا بقيود الكنيسة طوال فترة الظلام الفكري المسماة بالعصور الوسطى فكان هدف الإنسانيين تحرير الفكر الإنساني من كل القيود وإحياء التراث القديم .

يرى الكثير من الغربيين أن دراسة القدماء كفيلة وحدها بتكوين الإنسان بمعنى الكلمة فسميت هذه النزعة بالإنسانية أو المذهب الإنساني وسميت الآداب القديمة بالإنسانيات وكانت حركة إحياء الدراسات القديمة تسير قُدُما نحو الازدهار، فأقبل الايطاليون على دراسة اللغة اللاتينية التي اعتبروها لغة الحضارة الرومانية ودرسوها كونهم حفدة الرومان ، ومن أهم الذين برزوا في هذا الميدان " بتيرارك" الذي انصرف إلى دراسة اللغة اللاتينية حتى سيطر عليها لدرجة احتقاره للغة الايطالية ، حتى أنه صار يقيس ثقافة الفرد بمدى إلمامه بهذه اللغة وبفضل تمكنه منها استطاع "بتيرارك" أن يتذوق الاتجاهات الإنسانية التي حظيت بها كتابات الرومان ، وقد تمثلت كتابته في نقطتين هما ، روح التحرر في التفكير والتعبير والمطالبة بقيام وحدة سياسية [3] . أي أن هدفه الرئيسي كان السعي لتحقيق حرية التفكير بعيدا عن كل الحسابات والقيود التي تكبل عملية التفكير.

[1] – عبد الحميد البطريق ،عبد العزيز نوار ، التاريخ الأوروبي الحديث ، ص 29 .

[2] – نور الدين حاطوم ،تاريخ عصر النهضة الأوروبية ، ص80.

[3] – شوقي عطا الله الجمل ،عبد الله عبد الرزاق إبراهيم ، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة ،ص14.

وهكذا يمكن وصف تلك النزعة الإنسانية بشكل عام على أنها الثقافة التي تميزت بها ايطاليا في القرنين الرابع والخامس عشر والتي انتقلت فيما بعد إلى كافة أرجاء أوربا وهي تمثل تلك الدراسة التي مني بها الأدب الإغريقي واللاتيني بوصفهما نمطا مثاليا من التربية والحضارة فالموقف المركزي من النزعة الانسانية هو الرجوع إلى أصالة نصوص القدامى بمعنى أن هذه الحركة التي بزغت في إيطاليا أولا ثم عمت جميع أنحاء أوروبا في عصر النهضة اعتنت بالإنسان وجعلت منه غاية في ذاته وهدفها الأساسي هو تحقيق المثل الأعلى للإنسان في شتى المجالات ، أي أن الإنسان هو محور الكون [1].

وخلاصة القول إن النزعة الإنسانية هي رؤية شخصية متعددة الجوانب سواء في المجال الفلسفي ,الاجتماعي ,الازلي السياسي وتجعل النزعة الإنسانية محور اهتماماتها الإنسان بما هو إنسان وتعمل على اطلاق قدراته وإمكانياته .فهي تمثل ثورة فكرية على المذاهب الدينية التي جعلت من الإله محور اهتماماتها وأهملت شأن الإنسان .

[1]– مصطفى كيحل،الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون ،ص51.

المبحث الثالث : الأوضاع الاقتصادية والسياسية والفكرية والدينية في هولندا

لقد شهدت أوربا مع بزوغ فجر عصر النهضة تلك القفزة النوعية وثورتها على الأوضاع التي كانت سائدة في أوروبا في العصور الوسطى والتي أخّرت أوروبا عن ركب الحضارة آنذاك هذا التحول مسّ كل أرجاء أوروبا على غرار هولندا (موطن اسبينوزا) التي شهدت تطورات في مختلف المجالات وفي شتى الأصعدة .

1/الوضع الاقتصادي :

لقد عرفت هولندا ازدهارا كبيرا جعل منها دولة تجارية من الطراز الأول فكانت أمستردام مركزا رئيسيا للتجارة مشكلة بذلك نبضا للحياة الاقتصادية في شمال أوربا من خلال المعاملات التجارية ،ولقد استطاعت هولندا ان تستغل البحر كما أحسنت استغلال البر ،فأرست تجارة واسعة في المياه البعيدة وقد عرفت بسبب ازدهارها التجاري الاقتصادي زيادة كبيرة في عدد السكان فانتشرت المصارف ومختلف الصناعات على غرار تجارة الحلي التي نقلها اليهود وإمكانية التعامل مع التجار من مختلف الشعوب ، فأصبحت أمستردام مركز من أكبر المراكز التجارية في العالم ، وقد شاركت هولندا بقوة في الكشوفات الجغرافية وانطلقت سفنهم نحو جهات العالم الأربعة حتى وصلت إلى مشارف أستراليا ونيوزيلندا وحكموا جزر اندونيسيا وسيطروا على التجارة مع الصين ، فعادت سفنهم ملأى بالعاج واللؤلؤ [1]. حتى صار الهولنديون أكبر قوة أوروبية في البحار، هذا وقد برع الهولنديون في الصناعة والصيد البحري ما جعلهم قوة اقتصادية كبيرة نتيجة لذلك الازدهار التجاري الذي شهدته هولندا آنذاك وتسهيل ممارسة التجارة لكل تجار الشعوب من مختلف المناطق .

2/الوضع الفكري:

لقد انعكس الازدهار الاقتصادي الهولندي على الحياة الثقافية والعلمية فقد شُيّدت مدرسة في كل قرية وانمحت الأمية وحررت حركة الفكر وكذلك الكلام والصحافة ،حتى تحولت هولندا إلى ملجأ للعقول الثائرة المثمرة ، فكل العبيد الذين يأتون إلى هولندا يصبحون أحرار [2]. فكان مناخ الحرية السائد يُظهر أن هولندا بلدًا ذو سمعة حضارية لا تضاهى في تلك الأزمنة التي كان شائعا فيها التضييق على حرية الفكر فكان الوضع الفكري هناك ملائما ومساعدا على حرية التفكير .

---

[1]– نور الدين حاطوم ،تاريخ عصر النهضة الأوروبية ،ص312.

[2]– منذر شباني ،اسبينوزا واللاهوت ،منشورات وزارة الثقافة والهيئة العامة السورية للكتاب ، (د.ط)، دمشق ، 2009، ص17.

إن ذلك التطور في المجال الفكري جعل من" ليدن" أشهر مركز للعلم في أوروبا كما اشتهرت بصحفها ذات الصيت الكبير، أما فيما يتعلق بالعلوم فقد كانت هولندا شاهدة على عدة إكتشافات علمية هامة في مجالات الطب والفلك وغيرها ، فكان لها الكثير من العلماء في مختلف التخصصات ، إلى جانب ذلك وفي ميدان الفن كان للمدرسة الهولندية شهرة كبيرة، أما فلسفيا فهي البلد الذي آوى ديكارت الهارب من فرنسا وانتشرت فيه مختلف المذاهب والفرق الفلسفية [1] ، وهكذا فإن انتشار الصحف والمدارس وحرية الفكر جعل من هولندا قبلة للمفكرين بمختلف تخصصاتهم وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الحرية الفكرية والتطور الذي شهدته هولندا آنذاك .

3/الوضع الديني والسياسي:

أما فيما تعلق بالجانب بالجانب الديني وعلى الرغم من وجود دين رسمي في البلاد وقدرة الأقليات الدينية على تنظيم نفسها ، إلا أن هولندا انقسمت إلى إتجاهين رئيسيين شكل النزاع بينهما نوعا من التضاد . فالاتجاه الأول سمي بالاتجاه التحذيري المتمسك بعلم اللاهوت ويعود سبب التسمية لكونهم وجهوا تحذيرا يعرض أوضاعهم وينادون بالتسامح الديني ويتحدثون عن حرية الضمير وسيطرة الدولة على الدين الخارجي(الطقوس).

وقد ضم هذا الاتجاه الطبقة البورجوازية الوليدة ، وفي هذه الجماعة كان التقاء المذهب الطبيعي مع أفكار" هوبز" ، عن السياسة العلمية ،أما الحق الطبيعي فقد شكل لب وصميم الاهتمام التحذيرين واتخذوه كأساس للأخلاق والحق والمبادلات والملكية ، لكن ما اتفق عليه الأوصياء العروش مع التحذيريين في نقطتين هما التسامح أولا كشرط للسلام المدني والديني والوحدة الوطنية وثانيا أولية الزمني على الديني وأهمية تنظيم المدن قبل الكنائس ، وقد تسرب إلى نفوس الهولنديين الإصلاح الديني التي استطاعت ولا سيما في الأرياف أن توفق بين الفكر الروماني والقومية المناهضة للإسبان ثم الفرنسيين [2]، فالتحذيريون جعلوا من الحق الطبيعي مركزا لاهتمامهم وجعلوه كأساس للأخلاق والحق والملكية .

[1] – نور الدين حاطوم ، تاريخ عصر النهضة الأوروبية، ص312.

[2] – منذر شباني ، إسبينوزا واللاهوت ، ص18.

لقد كان الاتجاه الثاني المناهض للتحذيريين يؤمن بكنيسة مستقلة عن الدولة وبطاعة للمسيحي ، والهدف المنشود بالنسبة لهم هو إحقاق المجتمع المسيحي الذي لا تستطيع الدولة أن تحققه ، ويبدوا أنهم مثلوا الاتجاه الأصولي في هولندا ، بالرغم من تأثر أفكارهم بالإصلاح فنددوا بالتسامحية التي نادي بها الأوصياء على العروش واستنكروا طريقة عيشهم ، ما يشير إلى صراع خفي لا يزال دائرا على السلطة [1] ، وهذا الاتجاه يقر بالطاعة للمسيحيين من أجل إحقاق المجتمع المسيحي الذي يرون عجز الدولة والكنيسة عن تحقيقه .

من خلال ما سلف ذكره وبعد سرد لتلك الأوضاع التي كانت سائدة في أوروبا عموما وفي هولندا خصوصا نجد أنها قد كان لها بالغ الأثر في التأسيس لفكر اسبينوزا ونسقه الفلسفي بصفة عامة إلى توجهه وفلسفته الدينية هذه الأخيرة التي جاءت كنتيجة لعدة ظروف عاشها اسبينوزا وتأثر بها في حياته .

[1] منذر شباني ، إسبينوزا واللاهوت ، ص 20 .

المبحث الرابع : فلسفة اسبينوزا والعقلانية الديكارتية

يعد الفيلسوف الهولندي باروخ اسبينوزا [*] Spinoza (1632-1677) من أهم الفلاسفة في تاريخ الفكر الغربي ، وفلسفة اسبينوزا العقلانية لم تكن منفصلة عن سابقاتها من الفلسفات العقلانية التي كان لها تأثير واضح وجلي في العصر الحديث ، فكانت معظم أسس الفلسفة تعود في أصلها إلى تأثره بالفيلسوف ديكارت [**] Decartes (1596-1650) هذا الأخير الذي يذهب الكثير من الفلاسفة المحدثين والمعاصرين إلى اعتباره أبو الفلسفة الحديثة وهو مؤسس الفكر الحديث من خلال العديد من الأعمال التي قدمها ، كما أنه بين فكرة توحيد البشر في العقل حيث يقول : "إذ بخصوص العقل أو الصواب ، لاسيما وهو الشيء الوحيد الذي يجعل منا بشرا ويميزنا عن الحيوانات ، فإني أحبذ الاعتقاد بأنه تام في كل منا ، متبعا في ذلك الرأي السائد لدى الفلاسفة الذين يقولون أنه لا تفاوت إلا بين الاعراض لا بين صور أفراد النوع الواحد أو طبائعها " [1]. إلا أن هذه الفلسفة لم تكن مختلفة عن سياق الفلسفات السابقة إلا من خلال المنهج المعتمد عليه .

ويشير أبو الفلسفة الحديثة الذي تمثل فلسفته حدا فاصلا بين الفلسفة القديمة والحديثة إلى المنهج الذي اعتمد عليه والذي يعرفه على أنه " القواعد الوثيقة والسهلة تمنع مراعاتها الدقيقة من أن الباطل على أنه حق وتبلغ بالنفس إلى المعرفة الصحيحة بكل الاشياء التي تستطيع إدراكها دون أن تضيع جهودا غير نافعة ، بل وهي تزيد ما للنفس من علم التدريج " [2]، وقد اتبع ديكارت هذا المنهج الذي له صلة بالعلم وقد توصل إليه ديكارت من خلال تطور عقله ونضجه، ترجع فكرة اتخاذ منهج وجعل له قواعد يسير عليها إلى جملة من الأفكار السابقة

---

* – اسبينوزا : ولد في امستردام في 24 نوفمبر 1632 ، وكان من اسرة يهودية اسبانية مهاجرة اضطروا وتحت الاضطهاد الى اخفاء دينهم الحقيقي واعتناق الكاثوليكية مؤقتا ، كان ابوه ميخائيل تاجرا ميسور الحال ، كما كانت له مكانة في الجالية اليهودية المشهورة بامستردام ، وقد تلقي اسبينوزا تعليمه الاول في المدرسة التلمودية المحلية ، لم يكن اسبينوزا منعزلا عن الحياة بل كان محبا لها ومهتما بكل مايجري في مجتمعه حريصا على المشاركة في شؤون مجتمعه الا انه اصيب بمرض جعله يفقد حياته وكان ذلك في 21 فبراير 1677 تاركا وراءه مجموعة من المؤلفات منها رسالة في اصلاح العقل ، علم الاخلاق ، رسالة في اللاهوت والسياسة ، (أنظر :جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة ، دار الطليعة ،ط3 ،بيروت، 2006، ص359) .

** – ديكارت : هو فيلسوف ورياضي فرنسي وهو اول فيلسوف محدث ولد في لاهاي عام 1596 ، وفي سنة 1604 ارسله والده الى معهد لافليش الذي تاسس لتوه وكان الاباء اليسوعيين هم الذين يتولون ادارته وقد لقنوه مبادئ الايمان واللاتينية والتاريخ والبلاغة وعلى الاخص الفلسفة الاخلاقية والمنطق والرياضيات ، وقد توفي سنة 1650 تاركا مجموعة من المؤلفات منها مقال عن المنهج ، تأملات ميتافيزيقية(أنظر :نفسه ،ص 299).

[1] – رينيه ديكارت ، حديث الطريقة ، تر ، عمر الشارني ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1 ، 2008 ، ص44 .

[2] – رينيه ديكارت ، مقال عن المنهج، تر:محمد الخضيري ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط3، مصر ، 1985 ،ص144.

التي اطلع عليها على اعتبار أنه من تلامذة اليسوعيين المعروفين بالنظام والقواعد فهم معلموا نظام أيضا وليسوا معلموا الأخلاق والسلوك فقط .

لقد كان لفلسفة ديكارت بالغ الأثر على فلسفة اسبينوزا ، وقد سعى ديكارت في تفكيره إلى تحقيق عدة نقاط كإيجاد علم يقيني مثل اليقين الموجود في العلوم الرياضية بخلاف العلم الذي كان في العصر الوسيط إضافة إلى تطبيقه تطبيقا عمليا والسعي إلى تحديد العلاقة بين هذا العلم وبين الله من خلال ميتافيزيقا لحل المشكل بين الدين والعلم ، وبهذا فقد كان ديكارت أهم الفلاسفة في الفترة الحديثة اعتبارا مما قدمه للفلسفة وتقديمه للمنهج الذي أثر كثيرا في النسق الاسبينوزي فكان ديكارت مليئا بالشغف العقلي ، ولكنه لم يكن مثقلا بالجدية الاخلاقية فقد سعى داخل هذا الإطار ليجد مكان للتقوى وحياة مكرسة لله [1]. فهناك اتفاق بين ديكارت واسبينوزا في مسالة الدين ودوره في تقويم حياة الناس ، فاسبينوزا سعى لتقديم التفسير العقلاني للدين وحاول أن يجعل الدين منزها وصحيحا وجب احترامه .

لقد جعل ديكارت من منهجه القائم على الوضوح والبداهة في وضع الأمور موضع الشك حتى تتمثل في العقل بوضوح وتميز ، فحينما انتهت شكوك ديكارت المطلقة منها والمنهجية بواسطة ما يعرف بالكوجيتو* الديكارتي " أنا أفكر أنا موجود " وهو القانون الذي استطاع أن يثبت حقيقة ذاته ووجوده ، انتقل بعدها إلى محاولة إثبات وجود العالم الخارجي وإثبات أن لهذا العالم خالق أوجده وهو علة في وجود كل الموجودات ويذهب إلى أن الفكرة التي لنا على الله فهي لا تأتي منا إذا الله موجود لم تبق إلا فكرة الله وحدها هي التي يجب أن ننظر هل فيها شيء لم يصدر عنا ، وأقصد بلفظ الله جوهر لا متناهيا أزليا منزها عن التغيير قائما بذاته محيط بكل علم ،قادر على كل شيء ،وهو خالق جميع الأشياء الموجودة[2].

إن الميزة الاساسية التي أثرت في فلسفة اسبينوزا هي اعتماد ديكارت على المنهج الإستنباطي في مجال المعرفة وتأكيد هذا الأخير أن الميتافيزيقا التي أنشأها مطابقة لقواعد اليقين الإستنباطي ، وقد اعتمدت حقيقتها على مجرى ذلك المنهج وسار اسبينوزا على ذات المنهج بامتياز من خلال وضعه وتجسيده في كتاب الأخلاق المبرهن عليها في نظام هندسي.

---

[1] – برتراند راسل ، تاريخ الفلسفة الغربية ، ص122 .

* – الكوجيتو : لفظ يوناني يعني أنا أفكر ولكن مع إضافة لام التعريف يقصد به حجة ديكارت ويستدل بالفكر على جوهرية النفس ،(أنظر: مراد وهبة ، المعجم الفلسفي ، مادة الكوجيتو ،ص525).

[2] - رينيه ديكارت ، تاملات ميتافيزيقية ، في الفلسفة الاولى ، تر كمال الحاج ، منشورات عويدات ، بيروت باريس ، ط4، 1988،ص34.

وكان اسبينوزا يهدف من خلال هذا العمل إلى تفسير الخير بالنسبة للإنسان والعواطف والحرية الانسانية ،ويرى اسبينوزا ان هناك نوعا واحد للجوهر وهو الذي يجري تصوره من خلال ذاته عكس ديكارت الذي يقول أن هناك نوعان للجوهر –جوهر ذهني وجوهر للمادة ويتوقف وجودهما مع بعضهما البعض، وقد أخذ اسبينوزا في مؤلفاته الأولى النتائج المنطقية المترتبة عن مقدمات ديكارت وتابعها حتى قال فيها ليبنتز أن جل ما فعله اسبينوزا أنه حصد ما زرعه ديكارت .[1]

[1] جنفياف روديسي لويس ، ديكارت والعقلانية ،تر: عبده الحلو ، منشورات عويدات، ط 4 ،بيروت ،1998، ص110 .

الفـــــصل الثـــاني:

جوهر الدين عند اسبينوزا والانتقال من الأخلاق إلى السياسة.

- **النص الديني و لغة الكتاب المقدس.**
- **تطبيق المنهج علي النصوص الدينية .**
- **الأخـــــلاق والديـــــــــن.**
- **الـــــدولـــــة العلمـــانيـــة.**

المبحث الأول: النص الديني ولغة الكتاب المقدس

يمثل الدين* من أهم القضايا التي اهتمت بها فلسفة العصر الحديث لأن الدين كان في الفلسفات القديمة مندمجا تحت أنواع المعارف الأخرى المختلفة وقد ظهر الدين كفرع مستقل عن المجالات الأخرى في فكر الفيلسوف "إسبينوزا" الذي يعتبر أول من نادى بفكرة دراسة الدين دراسة عميقة ، حيث يمثل الدين ذلك الجانب الروحي الذي يتميز به الإنسان عن غيره من الكائنات .

ويعد خطاب "إسبينوزا" في مسألة المقدس حدثا فلسفيا هاما أثر في طبيعة الدراسات التي ظهرت خلال القرن السابع عشر وتناولت الظاهرة الدينية في اتصالها بالإنسان، ويبدو أن "إسبينوزا" استفاد من منجزات البيئة الفكرية والثقافية التي كانت سائدة في عصره والداعية إلى ضرورة إتباع العقل في قراءة الظواهر الطبيعية الفكرية حيث قال فيه "ليبتنز" أن كل ما فعله "إسبينوزا" أنه حصد ما زرعه ديكارت[1].

ينطلق "إسبينوزا" في تناوله للكتاب المقدس من اعتبار الكتاب المقدس على أنه كلام الله الذي يستهدف تعليم الناس السعادة الحقيقية غير أن سلوك الناس يكشف عما هو غير ذلك لأن العامة لا يحرصون على أن يعيشوا وفق تعليم الكتاب المقدس مشيرا إلى أن تفسيرات الناس ابتعدت عن الجوهر الحقيقي للدين ومستبدلين الله ببدعهم الخاصة .

ويقول "إسبينوزا" :" إننا نرى معظم اللاهوتيين قد انشغلوا بالبحث عن وسيلة لاستخلاص بدعهم الخاصة وأحكامهم التعسفية من الكتب المقدسة لتأويلها قسرا وبتبرير هذه البدع والأحكام بالسلطة الإلهية " . مقرا بذلك بأن هناك فرق شاسع بين ما يوجد في النص المقدس وبين ما يطبق على أرض الواقع وخاصة ما يقوم به رجال الدين من مخالفة لما وجد في الكتاب المقدس[2] .

---

* – الدين : مشتق من الفعل Religare بمعنى يربط ، وبالتالي فالدين هو ما يربط جماعة ما ،، والدين يعبر عن العلاقة بين للمطلق في إطلاقه والمحدود في محدوديته ، ولهذا يتصف أي دين بالاعتقاد في مطلق وعلاقة الفرد بهذا المطلق وممارسة شعائر وطقوس معينة (ينظر مراد وهبة ، المعجم الفلسفي ، دار قباء الحديثة للنشر والتوزيع ،(د.ط) ، القاهرة ، 2007،ص 233.) .

[1] – جنفياف روديسي لويس ، ديكارت والعقلانية ، ص 109.

[2] – اسبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة ، تر: حسن حنفي ، دار التنوير للطباعة والنشر،ط1، بيروت، 2005 ، ص247.

لغة الكتاب المقدس :

يوجه "إسبينوزا" نقدا لاذعا للاهوتيين وتأويلاتهم البعيدة للكتاب المقدس مرجعا ذلك إلى رغبتهم في السيطرة والتسيد على الآخرين، ولتجاوز تعسفات التأويل البعيد لابد من الانطلاق من نقطة مركزية وأساسية في عملية الفحص التاريخي للكتاب المقدس وهي اللغة.

لقد ذهب "إسبينوزا" إلى أن قراءة النص المقدس تستوجب التمكن من اللغة وفهمها والإلمام بها لكون النص قد كتب بلغة محددة وهي العبرانية مما جعل الإحاطة باللغة العبرية أمرا ضروريا على الرغم من أن الكتاب المقدس هو وحي إلهي تجسد وعبر عنه بلغة معينة فوجب معرفة خصائص وطبيعة اللغة التي دُونت بها أسفار الكتاب المقدس والتي تحدث بها مؤلفوها ، وبذلك يمكننا معرفة معاني النصوص حسب الاستعمال الحرفي لها وبما أن تلك الأسفار قد دونت باللغة العبرية فهنا يجب معرفة اللغة العبرية[1] .

إن الالتزام باللغة ومعرفتها أمر هام لكل من أراد أن يدرس ويحلل النصوص المقدسة وبالتالي فمعرفة الكتاب المقدس خاضعة للغة ولا يمكن تجاوزها رغم قدسية تلك النصوص وتعاليها ، فيصبح بذلك تأويل النص المقدس رهين بمعرفة اللغة على اعتبار أن التأويل من أبرز العوامل التي دفعت بـ"إسبينوزا" إلى النقد وكون التأويل قد ألقي بثقله على كاهل "اسبينوزا" وكل الاتجاهات التي سعى إلى التقليل من دور اللاهوت في الحياة الخاصة والعامة للأفراد معمما الجهل ومساعدا على تمييع الحقائق وسامحا بذلك للاهوتيين باستخلاص أحكامهم التعسفية من الكتب المقدسة بتأويلها قسرا أو تبرير تأويلها بالسلطة اللاهوتية [2].

لقد بقي الإشكال المطروح هو اللغة العبرية نفسها التي تم تدوين الكتاب المقدس بها فهي لغة لم يترك علماؤها الأوائل للخلف أي شيء بشأن القواعد والمبادئ التي تقدم عليها هذه اللغة ولم يتركوا أي قواعد ضابطة لها لأن فهم اللغة والإلمام بها ضرورة لا يمكن الانفلات منها لقراءة النصوص الدينية قراءة سليمة تساعد على التأويل الصحيح لها.

[1] – اسبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص37.

[2] – منذر شباني ، إسبينوزا واللاهوت ، ص32.

النقد التاريخي :

لقد أطلق علي المنهج المتبع في دراسة الكتاب المقدس باسم النقد التاريخي الذي في عمله يرتكز على فحص اللغة لفهم معاني الأسفار ، مما يستوجب العودة إلى اللغة العبرية للوقوف على المعنى الموجود في كل سفر وهو ما يضع صعوبة أمام الناقد متمثلة في ضرورة الإحاطة بهذه اللغة وقواعدها ، ويرتكز أيضا النقد التاريخي على تصنيف الإصحاحات حسب موضوعها والتمييز بين الواضحة منها والغامضة ، إلى جانب ضرورة العودة إلى السياق التاريخي الذي كتبت فيه الأسفار وحياة مؤلفيها وفكرهم حتى يصير بإمكان المفسر أن يقف عند أي تحريف قد لحق بسفر من الأسفار، مثلما تساعد هذه الإمكانية في التحرر من الأفكار والأحكام المسبقة .

إن المهمة الابستمولوجية للنقد التاريخي تتحدد بالكشف عن الأسباب التي تجعل كتابا مقدسا يطرح نفسه نصا مفارقا ، متعاليا على التاريخ قابلا بهذا الشكل لعدد كبير من التأويلات ، وهنا على النقد التاريخي أن يقول الكلمة الفصل ، فعليه وهو يكشف عن تاريخية النص أن يبين هذيان البشر وضلالاتهم ومقاصد اللاهوتيين التي فعلت في النص ما فعلت لتحقيق أهداف وغايات اجتماعية وسياسية من خلاله [1].

لقد ذهب "إسبينوزا" إلى وجوب الحديث عن المنهج الصحيح الذي يجب إتباعه لتفسير الكتاب مع وضوح تصورنا له ويلخصه في كونه لا يختلف عن المنهج المتبع في تفسير ظواهر الطبيعة ، هذا المنهج يقوم أساسا على الملاحظة الطبيعية وجميع المعطيات اليقينية ثم الانتهاء إلى تعريفات الأشياء الطبيعية ، وكذلك تفسير الكتاب يحتم علينا معرفة تاريخية مضبوطة وبعد الحصول على معطيات ومبادئ يقينية صار بالإمكان الوصول إلى استنتاج مشروع لفكر مؤلفي الكتاب[2] ، ومن هنا فالقاعدة العامة التي يجب العمل بها أو وضعها لتفسير الكتاب هي ألا تنسب إليه أية تعاليم سوى تلك التي يثبت الفحص التاريخي بوضوح تام أنه قال بها .

إن طبيعة هذه اللغة التي دونت بها أسفار الكتاب المقدس (العبرية) تجعل مهمة تأويل النص المقدس مهمة صعبة ، إذ يرى" إسبينوزا" أن كثرة المتشابهات فيها لا يسمح بتحديد يقين لمعاني جميع النصوص فبالرغم من أن التشابه مشترك في جميع اللغات ، إلا أن العبرية ينشأ عنها الكثير من المتشابهات ويقول في ذلك "إسبينوزا": " إذ يوجد فيها من المتشابهات الكثيرة ما يستحيل معه العثور على منهج يسمح لنا أن نحدد عن

[1] – منذر شباني، اسبينوزا واللاهوت ص32.

[2] – اسبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص236 .

يقين معاني جميع نصوص الكتاب " ، فعلى الرغم من أن لجميع اللغات أسباب مشتركة لوجود المتشابهات إلا أن هناك أسباب خاصة باللغة العبرية كاستبدال الحروف التي ينطق بها نفس العضو ببعضها البعض فمثلا: الألف والجيم والعين والهاء حسب تقسيم العبرانيون للحروف الأبجدية هي حروف حلقية حيث كان تقسيمهم للحروف طبقا لأعضاء الفم المستخدمة في النطق: الشفتين ،اللسان والأسنان والحلق والحنجرة ، إلا أن تلك الحروف يمكن نطقها بالأعضاء الأخرى كما تستعمل" ال" التي تعني " إلى " بدلا من " عل" التي تعني "على" والعكس صحيح فتصبح بذلك جميع أجزاء النص متشابهه[1] ، مما يجعل فهم اللغة العبرية أمرا صعبا والذي بدوره يجعل مهمة التأويل صعبة لكثرة المتشابهات.

يذهب "إسبينوزا" في تحديده لأسباب التشابه في اللغة العبرية على غرار استبدال الحروف ونطقها هناك سبب آخر وهو تعدد المعاني لحروف العطف والظروف ، فنجد أن حرف العطف قد يعني" و"، " لكن" ،"لأن" ، "مع ذلك"،" حينئذ"...، كذلك نجد كلمة " كي " قد تشير إلى عدة معاني "لأن" ،" مع أن" ، "إذا" ،" عندما" ،" مثلما" ، ...، ونفس الأمر تقريبا في كل الأدوات ، كل هذا إلى جانب سبب آخر لوجود المتشابهات وهو أن الأفعال ليس لها مضارع او ماضي او .... الخ ، ويتم تعويض هذه الأزمنة ببعضها البعض دون قواعد مضبوطة ومحددة فتجد استعمال زمن الماضي للدلالة على المستقبل أو استعمال المستقبل للدلالة على الماضي بلا تمييز ، بالإضافة إلى الأسباب السالفة الذكر فهناك سببين حسب إسبينوزا أكثر خطورة ويقول في هذا :" أن العبرانيين ليست لديهم حروف تعادل الحروف المتحركة والثاني أنهم لم يتعودوا أن يقسموا كلامهم المكتوب وأن يبرزوا المعنى بصورة أقوى أي تأكيده بعلامات" [2]، ويشير إلى أن النقط والحركات الموجودة في النص المقدس الآن هي من نتاج علماء لغويين متأخرين لا يحق لنا التصديق بها ولا تفوق سلطتها الشروح الأخرى ، وبالتالي عدم الوثوق فيما أضافه هؤلاء العلماء اللغويين .

[1] – اسبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص 244.

[2] – نفسه ، ص 246.

من خلال ما سلف ذكره فيما تعلق بلغة الكتاب المقدس فإننا نخلص إلى أن اللغة العبرية لغة صعبة ينتابها الكثير من الغموض لغياب قواعد ضابطه لها ومعاني محددة ، كما أن التجديد الذي طرأ عليها هو حديث وقد نجد أنه لم يبنى على ما ورد عند القدماء ، وهنا لا يجب الخلط بين الكتاب كما ورد عند القدماء والكتاب كما هو عند المحدثين ، لذا وجبت القراءة الداخلية للنص القائمة على الشك كما دعا إليه إسبينوزا مبررا ذلك بأن تلك التعديلات اللغوية من قِبل علماء اللغة المتأخرين تدعوا ، إلى الشك وعدم التسليم بصحتها والوثوق بها ، بل يجب البحث عنها كما وردت عند القدماء .

المبحث الثاني : تطبيق المنهج على النصوص الدينية

لقد سعى اسبينوزا جاهدا من أجل مجابهة تلك التأويلات التعسفية والبعيدة التي طالت النص المقدس منتقدا بذلك اللاهوتيين وأحكامهم المسبقة ، وداعيا إلى المنهج الصحيح الذي يجب إتباعه لتفسير الكتاب وهذا المنهج حسبه هو منهج البحث الطبيعي، هذا الأخير الذي عرف انتشارا في كل أنواع وأشكال البحوث العلمية في العصر الذي عاش فيه اسبينوزا إضافة إلى أن هذا المنهج قد بينته مجموعات باحثة في اللاهوت .

ويرى اسبينوزا أن هذا المنهج هو الأنسب والذي له القدرة على تحقيق أهداف ومساعي النقد التاريخي ، فهو يتفق مع المنهج الذي نتبعه في تفسير الظواهر الطبيعية في جميع جوانبه ولا يختلف عنه ، فكما أن منهج تفسير الطبيعة يقوم أساسا على وقبل كل شيء على ملاحظة الطبيعة وجمع مختلف المعطيات وصولا إلى تعريفات الأشياء الطبيعية ، فكذلك الحال في تفسير الكتاب من خلال الحصول على معرفة تاريخية مضبوطة من معطيات ومبادئ ثم الوصول إلى استنتاج مشروع لفكر مؤلفي الكتب وتوجهاتهم[1]. فالكتاب هنا شأنه شأن الطبيعة يخضعان لنفس الخطوات من خلال جمع المعطيات للوصول إلى نتائج تساعد على فهم النص.

إن سلطة الكنيسة في التفسير وما تدعيه من حق في تفسير الكتاب المقدس الذي أدى إلى كثرة التفسيرات القائمة على الهوى والخرافة والأوهام ، والتي تؤخذ على أنها كلام الله ويجبر الآخرين على الاعتقاد بها جعلت اسبينوزا يقدم ذلك المنهج لتفسير النصوص الدينية والذي هو مطابق لمنهج تفسير الظواهر الطبيعية ذاتها فعندما يكون الكتاب المقدس موضوع دراسة وتحليل يكون مثله مثل أي شيء من أشياء الطبيعة[2]. وبالتالي يجب التعامل معه كما نتعامل مع الظواهر الطبيعية ذاتها.

وجاء اقتراح اسبينوزا لهذا المنهج من منطلق وجوب التفكير في وسيلة شفاء للعقل وتطهيره حتى يجيد معرفة الأشياء ، وجعله وسيلة للتمييز بين ضروب المعرفة وتقدير قيمة كل منها للاهتداء إلى المعرفة الحقة التي تنحصر في ثلاثة ضروب: الأول منها الاستقراء العامي أي إدراك الجزئيات ، أما الثاني فهو معرفة عقلية استدلالية

[1] – منذر شباني , اسبينوزا واللاهوت , ص 33.

[2] – يوسف كرم , تاريخ الفلسفة الحديثة , دار المعارف , ط5 ، القاهرة , (د.ت) , ص 109 .

تستنتج شيئا من شيء ، في حين أن الثالث هو معرفة عقلية حدسية تدرك الشيء بماهيته[1]، فكان تقديم المنهج أكثر من ضروري لدحض كل والتأويلات التعسفية للكتاب المقدس والمبنية على الخرافة والأوهام.

إن ذلك التمييز بين أنواع المعرفة عند اسبينوزا يجعل من المعرفة التي تأتينا عن طريق الأخبار والإشاعات أول أنواع المعرفة كمعرفة تاريخ ميلادي , لتأتي ثانيا تلك المعرفة التي تحصل عن طريق التجربة الغامضة كاكتشاف الطبيب العلاج لمريض ما من خلال التأثير بالإيجاب في حين أن ثالث أنواع المعرفة ما يأتينا عن طريق الاستدلال أو المعرفة التي نصل إليها عن طريق التفكير ، وأرقى أنواع المعارف هو الذي يأتي عن طريق الاستدلال السريع والإدراك المباشر كادراك أن الكل اكبر من الجزء[2] . فهو بذلك يجعل المعرفة العقلية الحدسية أفضل أنواع المعرفة وأرقاها .

إن الحديث عن النموذج الاستنباطي يبين لنا أن هذا الأخير قد أدى دورا حاسما في تفكير ديكارت وفي المقابل نجد انه من المثير للانتباه أن الطريقة التي تم بها تقديم ديكارت لنظامه الفلسفي لم يكن استنباطيا , فهو في التأملات لا يستنبط النتائج من مجموعة البديهيات الأولية ، ولم يحاول ديكارت إلا مرة واحدة أن يقدم نظامه بطريقة هندسية منطلقا من مجموعة التعريفات والبديهيات والمسلمات ومستنتجا نتائجه بوصفها نظريات ، أما اسبينوزا فهو الاستنباطي بامتياز ويظهر ذلك جليا في كتاب الأخلاق المبرهن عليه في نظام هندسي. وفيه يحدد اسبينوزا نظاما فلسفيا كليا يسير في موازاة هندسة فالتعريفات والبديهيات موضوعة وهناك عدد كبير من القضايا والاستنتاجات المبرهن عليها [3].

إن نقد اسبينوزا للسلطة الدينية ورفضه سلطة اللاهوت ونقده وتحليله للكتاب المقدس كان نتيجة لتطبيق المنهج الديكارتي تطبيقا جذريا في المجالات التي استبعدها ديكارت من منهجه خاصة في مجالي الدين والسياسة وعدم تطبيقه على الكتب المقدسة والكنيسة ، ما جعل اسبينوزا يعقد العزم على إعادة فحص النص المقدس مع عدم قبول تعاليمه ما لم تثبت وتستخلص بوضوح تام ليؤسس منهجا لتفسير الكتاب المقدس [4].

---

[1] – يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، ص 109 .

[2] – ول ديورنت ، قصة الفلسفة ، تر: فتح الله محمد المشعشع ، مكتبة المعارف ، ط6 ، بيروت ، 1988 ، ص 210 .

[3] – جون كوتنغهام ، العقلانية ، تر: محمود منقذ الهاشمي ، مركز الإنماء الحضاري ،ط1 ،سوريا ، 1997 ، ص 59 .

[4] – جوزايا رويس ، روح الفلسفة الحديثة ، تر: احمد الأنصاري ، مراجعة: حسن حنفي، المجلس الأعلى للثقافة،(د.ط)، القاهرة ،2003 ، ص 12.

ليتمكن من خلال تطبيق ذلك المنهج من إعادة قراءة النص الديني من جديد وبدون أحكام مسبقة وبكل حرية بعيدا عن إيحاءات.

شروط قراءة النص:

لقد بنى اسبينوزا دراسته للنص المقدس على النقد الفعال ، لا على مبدأ التسليم بصحة ما تحتويه هذه النصوص الدينية المقدسة ، وعمل على البحث عن منهج يتبعه لحماية الفكر الديني من التحريف والتزييف الذي قد ينتابه لأن بعض الفئات الدينية قد تستغل الكلام الإلهي من أجل السيطرة على أفئدة العامة[1] ، ما جعل من المنهج الاسبينوزي مرحلة حاسمة في تاريخ النقد الديني لاعتماده على القراءة الدقيقة وإلغاء الأفكار والأحكام المسبقة ولأن هدفه الأساسي هو كشف اللبس عن تلك التأويلات الزائفة عما جاء في النصوص المقدسة مستندا في ذلك إلى ثلاث شروط لقراءة النص وهي اللغة التصنيف والتجميع ، ومحايثة ظروف الكاتب .

اللغة : لقد تمت الإشارة إلى أهمية اللغة من خلال تناولنا لعنصر النص الديني ولغة الكتاب المقدس , ولكن لا ضرر في التطرق إليه مجددا ولو بصورة موجزة , فقراءة النص المقدس تستوجب الإحاطة والتمكن من اللغة على اعتبارها أداة التعبير وعلى الرغم من قداسة تلك النصوص وتعاليها إلا أنها تخضع لضوابط اللغة ، هذه الأخيرة التي دونت بها أسفار الكتاب المقدس وهي العبرية نجد أنه يعتريها الكثير من الغموض والصعوبة المتجسدة في جملة من الأسباب حددها اسبينوزا كالأتي:

- استبدال الحروف التي ينطق بها نفس العضو(الحلق، الحنجرة، الأسنان ،...).
- غياب الأزمنة وعدم التمييز بينها كاستعمال الحاضر للدلالة على الماضي أو المستقبل ... وغيرها.
- عدم احتواء اللغة العبرية لحروف متحركة .
- النقط والحركات الموجودة في النص هي نتاج علماء لغويين متأخرين مما يدعوا للشك وعدم الوثوق .[2]

[1]- منذر شباني ، اسبينوزا واللاهوت، ص 43 .

[2]- اسبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص 244 .

انطلاقا من هذه الأسباب التي حددها اسبينوزا يتضح جليا أن مهمة الدارس للغة العبرية مهمة غاية في الصعوبة ناهيك عن القارئ للنص المقدس .

وبما أن اللغة أداة الخطاب فان ذلك يعني أن للغة دورها في التأكيد على تاريخية النص ما جعل اسبينوزا يضع قواعد تتعلق باللغة وأقر بوجوب فهم طبيعة وخصائص اللغة التي دونت بها أسفار الكتاب المقدس ومادام أن جميع من قاموا بالتدوين سواء في العهد القديم أو الجديد عبرانيين , فإن معرفة اللغة العبرية أمر ضروري ، ولكن المشكلة الأكثر تعقيدا هي أن العبرية ليست هي هي على الدوام فهناك اختلاف ، أي أن اللغة العبرية ليست هي العبرية في الماضي والحاضر والمستقبل [1]. كل هذا دفع اسبينوزا إلى أن يتخذ حذره من اللغة ويعتبر أن الفجوة التي يحدثها غياب النص الأصلي هي غياب القواعد الصريحة والواضحة للغة العبرية التي لم يترك علماؤها قواعد ضابطة لها .

التجميع والتصنيف:

إن الشرط الثاني لتأويل الكتاب المقدس يعتمد أساسا على طريقة التجميع والتصنيف فيقول اسبينوزا :**"**يجب تجميع كل سفر وتصنيفها تحت موضوعات أساسية عددها محدود حتى نستطيع بسهولة العثور على جميع الآيات المتعلقة بنفس الموضوع وبعد ذلك نجمع كل الآيات المتشابهة والمجملة أو التي تعارض بعضها البعض**"**.[2] أي أن هذا الشرط في التأويل يعتمد أساسا على منهج علمي دقيق قوامه الإصغاء للنص نفسه أي بتتبع عباراته وفقراته ذاتها .

وهنا يشير اسبينوزا إلى أنه من أراد تطبيق منهج قراءة النصوص المقدسة يجب عليه الإصغاء لعبارات الكتاب المقدس ، أي التجرد من كل حكم مسبق والتخلص من الأفكار القبلية التي يجب طرحها جانبا ، ويعتبر هذا الشرط من أهم الشروط وأساسا للمنهج ، ثم بعد ذلك يطبق المنهج العلمي القائم الجمع والتصنيف أي تجميع آيات كل سفر وتصنيفها تحت موضوعات تجعلنا أمام آيات مبينة أو واضحة وآيات متشابهة وغامضة ، فجعل بذلك اسبينوزا التخلص من الأحكام المسبقة والأفكار القبلية أمر ضروري لقراءة النصوص الديني.

[1]- منذر شباني ، اسبينوزا واللاهوت ، ص 46 .

[2]- اسبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص 236.

لقد أعطى اسبينوزا في حديثه عن التفسير الحق لكل شخص في التفسير ومؤكدا على أن تفسير النصوص يشبه تفسير ظواهر الطبيعة ، فكما أن تفسير تلك الظواهر يحتاج إلى دراسة التاريخ ، فكذلك يجب أن نعرف تاريخ التوراة وأن تجمع النصوص التي تتحدث عن موضوعات متماثلة والتي يعتقد أنها غامضة أو تبدو متناقضة ، كل هذا من خلال جمع الأسفار ومعرفة محتواها وقراءتها ، فدرسها بذلك اسبينوزا بدقة وتمحيص حتى امتلأت نفسه بما حوت تلك الأسفار.[1]

ويرى اسبينوزا أن تجميع آيات كل سفر وتصنيفها تحت موضوعات تجعلنا أمام آيات مبينة أو واضحة ويقول اسبينوزا في تعريفه لهذه المفاهيم :" أعني بالآية الواضحة أو الغامضة سهولة أو صعوبة فهم المعنى بالعقل إذ أن ما يعنينا هنا هو معاني النصوص لا حقيقتها " . بل إنه يجب أولا وقبل كل شيء في البحث عن معنى الكتاب الحرص على أن لا ينشغل ذهننا باستدلالات قائمة على مبادئ فطرية , وفي هذه النقطة يوضح بمثال من الكتاب المقدس نفسه ويقول في ذلك :" سأوضح بمثال كي تزداد معرفتنا بها بسهولة إن العبارات التي قال بها موسى مثل الله نار أو الله غيور، من أوضح العبارات مادمنا نقتصر على النظر إلى معاني الكلمات وحدها لذلك أضعها بين الآيات الواضحة مع أنها غاية في الغموض من حيث العقل والحقيقة وعلى الرغم من كون المعنى الحرفي مناقضا للنور الفطري "[2] . وهكذا فإننا نجد أن اسبينوزا يعتبر أنه بإمكان الإنسان إدراك المعنى الذي يحمله الكتاب المقدس وإن كان ظاهرا والمعنى الحرفي لم يكن يتعارض على نحو قاطع مع المبادئ والمعطيات الأساسية التي نستمدها من التاريخ النقدي للكتاب .

إن الحقيقة المقروءة حسب اسبينوزا هي التي يعبر عنها النص الديني خلافا لأي حقيقة تجعل النص مصدرا للفكر العلمي على سبيل المثال ، فالنص المقدس لا يترتب عنه مضمون يناسب المضمون العلمي وغياب الفهم الصحيح للمعنى الحرفي هو الذي يجعل البعض يعتقد أنه في الكتب المقدسة تصورات علمية سابقة للاكتشافات العلمية وأن هذه الأخيرة اعتمدت على الكتاب المقدس قبل اعتمادها على العلم ، إلا أن هذه الاكتشافات جاءت منافية لمحتوى النص الديني .

[1]– زكي نجيب محمود ، قصة الفلسفة الحديثة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (د.ط) ، القاهرة ، ص 129 .

[2]– اسبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 237 .

وبالتالي فحقيقة النص الديني ومتجلية في المعنى الحرفي لا في شيء آخر لذلك يجب نبذ كل التأويلات المتضاربة والفوضوية التي تخضع النص لبعد غريب عنه ، ومن هنا فان ما يهمنا في الكتاب المقدس في نظر اسبينوزا هو معاني النصوص لا حقيقتها أي الوقوف على معنى النص كما هو, لا كما يريد القارئ بتأويلاته فينبغي إذا البعد الحرفي دون التفات إلى الأشياء الغريبة عن النص ، أي دراسة النص من حيث هو نص .

محايثة الكاتب وظروف كتابته للنص :

أما الشرط الثالث الذي حدده اسبينوزا لقراءة النصوص الدينية فيتمحور حول وجوب معرفة الظروف المادية التي خضع لها الكاتب أثناء تدوينه وفي هذا يقول اسبينوزا :"يجب أن يربط هذا الفحص التاريخي كتب الأنبياء بجميع الملابسات الخاصة التي حفظتها لنا الذاكرة ، أعني سيرة مؤلف كل كتاب وأخلاقه والغاية التي كان يرمي اليها ، ومن هو وفي أي مناسبة كتب كتابه وفي أي وقت ولمن وبأي لغة كتبه " . [1]

وبالتالي فهذا الشرط الثالث يقوم أساسا على محايثة كاتب النص وظروفه الاجتماعية وفي أي مناسبة وأي شعب أو أمة وفي أي زمن ومزاجه في الكتابة وهدفه المنشود ومذهبه الذي ينتمي إليه ، كل هذا لمعرفة المقصود من كتابته وإلى أي حد يمكننا الاعتماد عليها مع التأكد من صحتها وعدم تعرضها للتحريف أو تسرب الأخطاء إليها .

إن الوصول إلى المعرفة الواضحة يكتمل بالعثور على المؤلف أو المؤلفين الذين وقفوا وراء إنجاز النص ، فعند قراءة كتاب يتضمن أمورا لا يمكن تصديقها أو نجد فيها ألفاظا غاية في الغموض ، فالأولى ليس البحث عن معناه دون معرفة مؤلفه وزمان كتابته ، لأنه بالكشف عن المؤلف نستطيع كشف طلاسم النص والتعرف على التدخلات التي خضع أو أخضع لها النص ، فالنص لا بد أن يبرز ملامح ذلك المؤلف أو شيئا عن سيرته وشخصيته إلى جانب دوافعه وميولاته وعواطفه ، وربما ضمن في النص مذهبه في الأخلاق أو السياسة وعلاقاته مع المجموعات البشرية التي عاش معها وكتب عنها ، لأن المؤلف هو الدليل على تاريخية النص فالنص هو مؤلفه بمعنى من المعاني لأنه يبرز شخصيته وقدراته الحسية والعقلية .[2] أي أن اسبينوزا يفرد قاعدة من قواعد الفحص

[1] – اسبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص 238 .

[2] – منذر شباني ، اسبينوزا واللاهوت ، ص 34 .

التاريخي للكتاب تتعلق بالمؤلف ، فعند قراءة تلك الكتب وفي حال احتوائها أمورا لا يمكن إدراكها ولا يمكن تصديقها وجب معرفة مؤلف ذلك الكتاب وزمن تلك الكتابة والمناسبة التي كتب فيها .

إن معرفة أفكار المؤلف وغايته مرتبطة أيضا بمعرفة سيرته حتى نصل من خلال ذلك إلى معرفة لا يتطرق إليها الشك ، وقد أوضح ذلك اسبينوزا بأمثلة على قصص خرافية خارقة للعادة كخرافة لاريوست الذي يحكي قصة رجل يدعى رولان الغاضب يمتطي تنينا ذو جناحين يطير في الهواء ، ويحلق في جميع المناطق كما يشاء يفترس عددا كبيرا من الناس ، إضافة إلى خرافة أخرى مشابهة للأولى خرافة أوفيد ، وعن إيليا الذي كان يطير في الهواء وانتهى به الأمر بالوصول إلى السماء بخيوله وبعربة من نار[1] , فما ورد في هذه النصوص متقارب من حيث المضمون (خيالي) ومع ذلك فهي تختلف ، فمؤلف يقصد تفاهات خيالية ، والآخر قصد غاية سياسية وآخر قصد أشياء مقدسة ...الخ . إذا فمعرفة حياة الكاتب وظروف كتابته هي التي لا تجعلنا نخلط بين هذه الحكايات ، فالمعرفة المحايثة لظروف صاحب النص هي التي تدلنا على المقصود داخل السياق والمعنى هذا لا وجود له إلا داخل السياق .

من خلال ما سلف ذكره نجد أن اسبينوزا قد شكل تصورا جديدا لمعنى النص المقدس باقتراحه لمنهجه في تفسير الكتاب عبر التمكن من شروط قراءة النص ليجعل بذلك منهجه في التفسير كمنهج مطابق لمنهج تفسير الظواهر الطبيعية (المنهج القائم على العقل) أي أن الكتاب المقدس عندما يكون موضوع تحليل ودراسة يكون مثله مثل أي شيء من أشياء الطبيعة ودراسة النص عنده تقف على المعنى الحقيقي والمطابق لفقرات النص عن طريق النور الطبيعي لفك ألغازه ، أما الإدعاء بضرورة وجود معرفة تفوق النور الطبيعي فهدفه السطو على الكلام الإلهي قصد السيطرة على أفئدة الناس ، ومنهج اسبينوزا منهج علمي محض مادام يقوم على الملاحظة والتجربة وجمع المعطيات وتحليلها واستخلاص النتائج فالكتاب شأنه شأن الطبيعة لا يعطينا تعريفات عن الأشياء التي يتحدث عنها .

[1] – اسبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص 256 .

المبحث الثالث : الأخلاق و الديــن

لقد اهتمت المدارس الفلسفية عبر العصور بدراسة الظاهرة الأخلاقية [*] ووضع تفسيرات وتعريفات لها ، كما حاول الفلاسفة وضع أسس للقيم الأخلاقية عبر العصور ، ويتميز البشر عن بعضهم البعض في الكثير من الأمور الظاهرة والباطنة التي تجعلهم مختلفين في طرق تفكيرهم وحياتهم ، ولا يمكن للبشر أن يتعايشوا مع بعضهم البعض إن لم يتبعوا بعض القواعد والأساليب التي يتقبلها الجميع وتجعلهم يحافظون على علاقتهم مع غيرهم بالطرق المحببة ، وهذا كله يحتاج إلى ما يسمى بالأخلاق , هذه الأخيرة التي تعرف على أنها مجموعة من المبادئ والقواعد التي تساعد على تنظيم سلوك الإنسان مما يسهل حياته وتجعلها تبدو بالشكل الأكمل في كافة تعاملاته .

يرى اسبينوزا أن معظم الذين يكتبون عن الانفعالات والسلوك الإنساني أو البشري يبدو كأنهم ينظرون إلى الإنسان على أنه مملكة داخل مملكة و يقترح معالجة الإنسان على أنه جزء من الطبيعة لا على اعتباره شيئا خارجا عن الطبيعة مع النظر إلى أفعال الإنسان ورغباته كما لو أنه يتم معالجة الخطوط والسطوح والأجسام[1]. وبالتالي فمشكلة التفاعل بين العقل والجسم ليست مشكلة بالنسبة لاسبينوزا بمعنى أنه ليس هناك ما يدعوا للحيرة في مسألة كيف يمكن للعقل (النفس) أن يؤثر على الجسم ويحركه ، فيفسر الانفعالات والسلوك البشري تفسيرا طبيعيا مع بيان كيفية التخلص من عبودية الانفعالات .

ويشير اسبينوزا إلى أن كل شيء فرد وليس الإنسان فحسب يسعى نحو الاستمرارية في وجوده الخاص ويذهب إلى تسميتها بالنزوع ، فطبيعة الشيء تحدد نشاطه على اعتبار أن الجهد المبذول من طرف شيء ما لكي يستمر في وجوده لا يعدو سوى أن يكون الماهية الفعلية لهذا الشيء ، وبالتالي فقوله بأن الدافع الأساسي عند الإنسان هو الجهد الذي يبذله لكي يستمر في وجوده الخاص هو قول يصدق على كل شيء متناه ، وذلك النزوع يسميه اسبينوزا الشهوة مع أن هناك وعي بهذا الميل عند الإنسان وتسمى الشهوة الواعية (الرغبة) فالميل إلى المحافظة على الذات وكمال الذات ينعكسان في الوعي كرغبة ، وكذلك ينعكس الانتقال إلى حالة أعلى أو أدنى من الكمال في الوعي ,ويسمى الانعكاس في الوعي بالانتقال إلى حالة من الكمال الأعظم

---

[*] – الأخلاق : لغة هو جمع خلق ، وهو العادة والسجية والطبع والمروءة ،والأخلاقي كل ما له صلة بالأخلاق كالضمير أو العمل أ الحكم الأخلاقي .بوجه سمة ما هو أخلاقي من عمل فردي أو جماعي وتقابلها اللاأخلاقي (أنظر: إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، مادة الأخلاق ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ،(د.ط) القاهرة ،ص 6).

[1] – اسبينوزا ، علم الأخلاق ، تر : جلال الدين السعيد ,دار النشر والتوزيع ،تونس ، (د.ت) ، ص 159.

"اللذة" والانتقال إلى حالة أدنى يسمى الألم[1]. وبناءا على مبادئ اسبينوزا العامة لابد أن تكون الزيادة في كمال العقل زيادة في كمال الجسم والعكس صحيح .

لقد استخدم اسبينوزا المنهج الهندسي وكان الغرض من استخدامه هو استبعاد كل العوامل الشخصية من تفكيره وسعى جاهدا من أجل البحث عن انفعالات البشر بنفس الموضوعية والدقة التي يبحث بها عالم الهندسة في النقط والخطوط والسطوح ، حتى أنه في هذا الصدد وفي كتابه الأخلاق قدم اقتراحات لكيفية التخلص من القلق والانفعال الخاصين بحياة غير متنورة ولا معنى لها إلى حياة هادئة وحرة وبفضل عقله يستطيع الإنسان إدراك المقدس وبالتالي الوصول إلى الخير الأعظم ، ويشير هنا اسبينوزا إلى أن العائق الكبير الذي يحول بيننا وبين الوصول إلى السعادة الحقيقية هي الانفعالات والعواطف[2] لأن تلك العواطف والانفعالات تسيطر علينا وتجعلنا عبيدا لها .

والسماح لأنفسنا بالتأثر بقوى خارجية مختلفة يفقد العقل توازنه فنقوم بأعمال تؤدي بنا إلى الشقاء ، لأن العواطف حسب اسبينوزا تسيطر علينا وتختزلنا ، وتحولنا إلى عبيد للرغبة في الثروة واللذة و....الخ ويكون الخلاص من تلك العواطف برؤية الإنسان الحكيم إلى الجوهر الضروري للعالم وبإزالة التمييز بين الذات وبقية العالم ، غير أن بحث اسبينوزا اللاعاطفي في العواطف لا يعني رفضه لجميع العواطف أو المشاعر فقد ميز بين تلك العواطف عواطف نافعة وعواطف ضارة ، فالنافعة هي التي تزيد من نشاطنا ، أما الضارة فهي التي تحولنا إلى منفعلين سلبيين لأننا في حالة النشاط نكون نحن الخالقين لأعمالنا إلى أعلى الدرجات فنتصرف لأجل أنفسنا ونكون أكثر حرية بتحرير أنفسنا من التأثير الخارجي والسماح لقوتنا الروحية أن تشكل أعمالنا وحياتنا فجوهرنا الحقيقي هو معرفتنا العقلية النشيطة التي تسمح لنا بالمطابقة بين أنفسنا والطبيعة (الله) [3]ويكون ذلك بالتخلص من تأثيرات القوى الخارجية التي تجعل العقل يفقد توازنه .

إن المذهب الاسبينوزي إذا أخذناه في جملته مذهب في الخلاص عن طريق معرفة الله فهدف الفلسفة التحري عن خير قابل لأن يتناقل ويكون اكتشافه مصدر فرح سام ومتصل إلى الأبد والمنطلق الأول لاسبينوزا نجده نفسه كمطلق رئيسي عند جميع منظري حب الله من خلال اعتبار جميع تلك الانفعالات (الحزن, الحسد ,

[1] - فريدريك كوبلستون ، تاريخ الفلسفة من ديكارت إلى ليبنتز ، تر: سعيد توفيق ، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام ، المجلد4 ، المركز القومي للترجمة ,ط1, 2013 .

[2] - أمل مبروك ، الفلسفة الحديثة , ص439.

[3] - غنار سكيربك ،نلز غيلجي,تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة إلى القرن العشرين ,ص439 .

الخوف, الكره ,....الخ) تكون عندما نحب الأشياء الفانية , أما الحب الذي ينصب على كل شيء أبدي ولامتناهي يجعل النفس في فرح محض خال من كل حزن [1]. فحب الله هو أساس السعادة على عكس حب الأشياء الفانية التي تثير فينا انفعالات الحزن والخوف ... وغيرها من الانفعالات.

ويحاول بذلك اسبينوزا أن يستمد الانفعالات المتعددة من الانفعالات الأساسية أو انفعال اللذة والرغبة والألم ويفسرها تفسير طبيعيا بصورة دقيقة ، وهذا المذهب الطبيعي في تفسيره للخير والشر، والمقصود بالخير هنا كل أنواع اللذة وكل ما يؤدي إليها (ما يشبع رغباتنا) ، أما المقصود بالشر فهو كل أنواع الألم (ما يحبط رغباتنا) وهكذا فإننا لا نرغب في شيء كونه خير ، بل نسميه خيرا لرغبتنا فيه ونفس الأمر فيما نسميه شرا لأننا لا نرغب فيه[2]. وبالتالي يحكم كل شخص ويقدر ما هو خير أو شر وفقا لانفعاله الخاص .

إن تلك النظرة الشخصية الضيقة لا يجوز النظر من خلالها إذ يجب أن نجرد أنفسنا من نزعتنا البشرية وحكمنا على كل شيء في الطبيعة بأنه عبث أو شر فذلك لعدم معرفتنا بالأشياء إلا معرفة جزئية ونريد أن تسير الأمور كما نشتهي نحن لأننا نجهل أن الكون وحدة لا تتجزأ فما نحكم عليه بأنه شر ليس في الحقيقة شرا بالنسبة للقوانين التي تسير الطبيعة بمقتضاها، ولكنه شر بالنسبة لطبيعتنا نحن بعد فصلها عن تلك الوحدة الكونية [3]، وهنا يريد اسبينوزا إن نجرد أنفسنا من كل النزاعات والميول وننظر إلى العالم نظرة مجردة كنظرتنا للمثلث من خلال القانون العام المجرد المتحكم في جميع المثلثات فلا يكون لأحد فيه رأي وللآخر رأي مغاير.

على الرغم من إن كل الانفعالات تعود إلى اللذة أو الألم أو الرغبة إلا أنها ليست كلها سلبية لأن هناك انفعالات ايجابية ؛ وانفعالي اللذة والرغبة وحدهما اللذان يمكن إن يكونا ايجابيين ؛ وعندما يقول اسبينوزا إن كل الأفعال التي تنتج من الانفعالات من حيث ان العقل فاعل فانه يعود إلى قوة النفس ويميز فيها قسمين : الأول الشجاعة أو رباطة الجأش ويسمى الثاني النبل والمروءة ويعني بالشجاعة رغبة كل شخص في حفظ وجوده ويندرج تحت الشجاعة الاعتدال والقناعة وحضور البديهة في الخطر وفقا لما يمليه العقل؛ويعني بالنبل رغبة كل فرد في مساعدة الآخرين ويندرج تحت النبل والمروءة والتواضع والرحمة ...الخ وفقا لما يمليه العقل ؛ وبذلك فإن التقدم الأخلاقي يوازي التقدم العقلي وقد أشار اسبينوزا إلى إن الانفعالات ليست كلها سلبية فهناك انفعالات ايجابية كانفعالي اللذة والرغبة

[1] إميل بريه ، تاريخ الفلسفة , ج4 ، تر : جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر،ط2 ,بيروت ,1993، ص197 .

[2] فردريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة من ديكارت إلى ليبنتز ، ص329.

[3] زكي نجيب محمود ، فلسفة اسبينوزا ، مجلة الرسالة ، عدد 15، أغسطس 1933، القاهرة .

لقد تباينت الآراء ووجهات النظر في أصل القيم الأخلاقية بين الفلاسفة والمفكرين عبر العصور فمنهم من رجح العقل كأساس في التمييز بين الخير والشر وردها آخرون إلى عادات وقيم وقوانين المجتمع الذي يعيش فيه الفرد ويلتزم بواجباته اتجاهه؛ من ناحية أخرى هناك الشرع والدين كمعيار في الحم على الأفعال من خير أو شر وتوجيه سلوكات الفرد لما هو صائب عن طريق التزامه بالأحكام الشرعية ؛ هذه الأخيرة الأحكام الشرعية أو الدين الذي يمثل الجانب الروحي الذي يتميز به الإنسان عن غيره من الكائنات ؛ وقد بين اسبينوزا الفرق بين الدين والتدين فإذا كان الدين يتمثل في الاعتقاد التام بوجود الاله ؛فان التدين مسالة بشرية تتمثل في ممارسة عقائدية يقوم بها الفرد لتقرب من معبودة سواءا كان المعبود روحيا أو ماديا .

إن مرد السرور الذي يملا أنفسنا إلى الله علة الحقيقة ومبدأ القوانين ؛هذا السرور مصحوب بفكرة الله وهو محبة الله والإنسان هو العلة الكاملة لهذه المحبة وهي خالصة لا يقابلها محبة من الله لان الله بريء من الانفعال وتلك هي الحيات الأبدية والنفس فكرة الجسم ولا توجد إلا بوجود الجسم ؛ فالنفس سرمدية من حيث هي حاصلة على معرفة الحقائق السرمدية ؛ وخير الوحيد هو الذي يدركه عقلنا والخير الخلقي ما انمي العقل والشر ما انتقصه وأفسده وذلك هو دين الحق الذي نجده في أنفسنا ؛ أما الدين الوضعي فقد مست الحاجة إليه لقصور جمهرة الناس عن مطالعة أوامر الله في نفوسه[1] وهنا قد ربط اسبينوزا فكرة السرور بمحبة الله الذي نفى عنه الانفعالات وبراه منها .

لقد أشار اسبينوزا إلى إن الفهم هو الطريق إلى التحرر من عبودية الانفعالات انطلاقا من اعتبار إن الكراهية يشعر بها أولائك الذين تحكمهم أفكار مختلطة وناقصة حتى إنني إذا فهمت علاقة الناس كلهم بالله فأنني لا اشعر بالكراهية تجاه أي واحد منه ، والوضيفة الأسمى للعقل هي معرفة الله والخير الأسمى للعقل هو معرفة الله ، والفضيلة الأسمى للعقل هي معرفة الله ؛ الحب العقلي لله هو الحب الخالص لله [2]،ويعلن اسبينوزا أن الحب لله هو خلاصنا وهو غبطتنا أو حريتنا وفهمنا بعلاقة الناس بالله هو سبيل التحرر من الانفعالات .

[1] - يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، ص116 .

[2] - فردريك كوبلستون ، تاريخ الفلسفة من ديكارت إلى ليبنتز ، ص 334 .

المبحث الرابع : الـــــدولة العلـمانيــة

يؤكد معظم الفلاسفة عبر مراحل الفلسفة المختلفة أن نشأة الدولة يقوم أساسا على ما يعرف بالحق الطبيعي والنظام الطبيعي ، وأن هذا الحق هو عام وشامل لكل الموجودات وقد كان سائدا في التصور اليوناني القديم والذي يظهر عند الفيلسوف *شيشرون Cicern (106-43 ق.م) حيث يقوم تصوره للحق الطبيعي على أنه المعايير التي تطابق ماهيات وجوهر الأشياء وبالتالي فإنه يصدر عن الحالة الطبيعية الأصلية للإنسان التي هي الحالة التي تجسد جوهره الخلقي العقلي ويؤكد شيشرون بأنه يوجد قانون حقيقي هو العقل السليم الذي يطابق الوجود المنتشر في كل الموجودات[1].

إن الحق الطبيعي في نظر شيشرون يتمثل في وحدة عقل الإنساني ، فبما أن البشر موجودون في العقل فكذلك الأمر بالنسبة للحق الطبيعي وقد ضلت الفكرة نفسها متجسدة في العصر الحديث ، إلا أن اسبينوزا كانت له نظرة مغايرة لما كان سائدا في الفلسفات الأزلية وحتى فلسفة عقله ، إذ يرجع أن نشأة الدولة يعود في الأساس إلى فصل اللاهوت عن مجال السياسة ، أي فصل الدين عن الدولة لأن الدين يحد من حرية الفكر كما أنه يعمل على طمس الأفكار التحررية التي تسعى إلى البحث عن الحقيقة ، كما يرى أن هناك مجموعة من المقومات التي تقوم الدولة عليها إلى جانب فصل كل ماهو ديني عن كل ما هو سياسي، ومن هذه المقومات الحق الطبيعي والنظام حيث يقصد به " تلك القواعد التي تتميز بها طبيعة كل فرد ، وهي القواعد التي تدرك بها كل موجود وبتحديد وجوده وسلوكه حتميا ، فمثلا يحتم على الأسماك بحكم طبيعتها أن تعوم في البحر ويأكل منها الكبير الصغير وذلك تطبيقا للقانون الطبيعي بمعنى أن الضرورة الطبيعية هي التي أجبرت أن تكون الحياة تسير وفق القوانين التي تفرضها [2].

* - شيشرون : ماركوس تللوس (106-43 ق.م) خطيب سياسي وفيلسوف وكاتب روماني ؛كان مستمعا وصديق لكبار الأساتذة في الأكاديمية ومدرسة الرواق والمدرسة الابيقورية ، حاول تسيير الفلسفة اليونانية في صور أدبية لاتينية ،كان يحكم مزاجه وتعليمه متشككا في مذهب الشك الأكاديمي ولقد أعجب بما في الرواقية من مثل نبيلة ورفيعة ،لما كان قد ابتكر ألفاظا فلسفية باللاتينية (أنظر :جورج طرابيشي،المعجم الفلسفي ،ص273).

[1] - عبد الله السيد ، مجلة الأحياء الحق الطبيعي ومقاصد الشريعة ؛الرابطة المحمدية للعلماء ،المغرب ،2016.

[2] - اسبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص 376.

إن فلاسفة العصر الحديث يؤكدون بان الحق الطبيعي هو أساس كل دولة ؛ حيث يفرق هوبز hobbes (1588-1679)** بين الحق الطبيعي الذي هو الحق الذي هو الذي هو حق كل واحد في استخدام قوته الخاصة ، كما يريد هو نفسه للحفاظ على طبيعته الخاصة .

أما القانون الطبيعي فهو المبدأ أو القاعدة التي يصل إليها العقل وفق مطلب الحفاظ على النفس وبما أن الإنسان هو جزء من الطبيعة فهو حتما يخضع إلى قوانينها وأنه حاول عبر مراحل حياته المختلفة أن يتغلب عنها ويجعلها تسير وفق أهوائه, وقد تمكن الإنسان الحضري من تحقيق ذلك من خلال الاندماج مع أفراد مجتمعه ، ثم إن اندماج الأفراد تحت لواء واحد يضمن لهم الخير الأسمى ، كما أنه يعمل على المحافظة على بقاء الدولة واستمرارها إضافة إلى ذلك فإن هذا المجتمع يحد من سيطرة العقل الذي يغلب عليه الأهواء والميول ويتفق جميع الفلاسفة القدامى والمحدثين على أن الحق الطبيعي هو مقوم أساسي لبناء وتأسيس الدولة وهذا الحق في نظر اسبينوزا غير كافي على اعتبار أنه نابع من ذهن كل فرد وبالتالي فإن أي فرد بمقدوره أن يطبقه وفق مايريد هو حيث أشار اسبينوزا إلا أنه يوجد مقومات أخرى أساسية لقيام الدولة شرط أن لا يتعارض مع الحق الطبيعي وهو أن يفوض كل فرد إلى المجتمع كل ماله من قدرة بحيث يكون لهذا المجتمع الحق الطبيعي المطلق على كل شيء، أي السلطة المطلقة في إعطاء الأوامر التي يتعين على كل فرد أن يطيعه أم بمحض اختياره وإما خوفا من العقاب ويسمى نظام المجتمع بالنظام الديمقراطي [1] وهو الذي يجعل الحق للمجتمع في السلطة .

حيث يؤكد اسبينوزا بأن النظام الذي يجب أن تسير عليه أي دولة هو النظام الذي يجسد الحرية الفكرية وليس هناك أفضل من النظام الديمقراطي ، وأن ميزة هذا النظام تكمن في تجسيد علاقات ترابطية بين الأفراد والسلطة الحاكمة مما يجعل المواطن على دراية بالجانب السياسي ، وكذلك يكون الحاكم على دراية بما يكون في مجتمعه ، حيث بين اسبينوزا أن الشكل الأفضل للحكومة هو الديمقراطية حيث أن الموطنين يمنحون السلطة العليا لأنفسهم كشخص واحد ، أي أن المواطن الواحد يصوت على كل قانون ورغبته تقريبا هي رغبة الناس (الجميع) كما بين اسبينوزا أن دولة الحق تستطيع تحقيق الديمقراطية المثلى واحتلال الأطروحة السياسية نفسها مع تغيير

** - هوبز توماس (1588-1679) فيلسوف مادي انجليزي تأثرت فلسفته بثورة القرن السابع عشر ميلادي كان يعتقد بان المعرفة معناها القوة وكان بأمل في علاج أمراض مجتمعه عن طريق تخطيط بناء عقلي جديد للمجتمع هندسيا وقد تحولت أفكاره الى السياسة نظرا للحالة المضطربة التي كانت تعيشها بلاده ، وقد نشر كتاب الأصول الفلسفية الخاص بالحكومة والمجتمع (أنظر: مراد وهبة ، المعجم الفلسفي ، ص 258).

[1] - اسبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة ،ص 371.

الأنواع الأساسية لدولة الحق التي تستطيع تحقيق الأهداف المثلى لنموذج ديمقراطي مثلى [1]، فاسبينوزا يدعو إلى النظام الذي يدعم الحرية الفكرية لا من يقيدها وهذا النظام هو النظام الديمقراطي .

كان هدف اسبينوزا من تجسيد نظام الديمقراطية هو تكوين مجتمع حر يقوم على تبادل الأفكار ويهدف الى زرع علاقات اجتماعية وطيدة بين أفراد المجتمع ، فهو بهذا الرأي يخالف هوبز الذي يدعو للحكم الاستبدادي ويدعو اسبينوزا للحكم الديمقراطي حيث يقول "كلما اتسعت مشاركة الشعب في الحكم قوي الاتحاد"[2].

إن تجسيد الحياة السياسية في المجتمع يحد من الحياة البدائية التي كانت سائدة في المجتمع الطبيعي الأول وهي الحياة التي تنعدم فيها الحرية والنظام ويسود فيها الظلم والاستبداد حيث يغلب عليها قانون الغاب فلا يوجد فرق بين الحيوان والانسان , فكان الإنسان ذئب لآخيه الإنسان على حد تعبير هوبز حيث لم تعرف هذه المرحلة معنى الخير الأسمى أو الفضيلة ولا يوجد قانون ينظم تلك المجتمعات الفوضوية حيث يرى بأن القانون الطبيعي لا يقيد رغبات الإنسان ولا يعارض الصراع بين الناس ولا يمنع الخيانة والبغض أو أي شيء تشتهيه النفس و واذا كان العقل يهدف إلى إقامة النظام بين الرغبات فهو كذلك في السياسة يهدف إلى إقامة النظام بين الناس في الدولة كاملة .

إن هدف اسبينوزا من تجسيد نظام الديمقراطية هو تحقيق العدالة و الحرية، وهذا النظام يجب أن يتولاه حاكم يكون مختار من طرف أفراد المجتمع الواحد ، حيث أن الحاكم يجب أن لا يعارض رأي الفرد كما يجب عليه تنفيذ ما اتفقت عليه الجماعة لأن الفرد يستطيع وبكل سهولة مواجهة الخضوع لإرادة الاخر ومشيئته ، إذ أن الحاكم لا يكتسب الحق في أن يأمر بما يشاء لا بقدر ما يملك من السلطة العليا بالفعل فإذا فقدها فقد في الوقت نفسه الحق في الأمر وتحول هذا الحق إلى من يستطيع الحصول على السلطة والمحافظة عليها[3].ولذلك كان اسبينوزا نصيرا للديمقراطية ومدافعا عنها وهي بدورها يجب أن تدعم حرية الفلسفة .

إن للسلطة نظاما وقوانين خاصة وعلى الحاكم أن يمتثل بتلك القوانين وأن يطبقها على أحسن وجه ، محاولا في الوقت نفسه المحافظة غلى السلطة ، كما أنه مجبر على أن يقدم المصلحة العامة على الخاصة وذلك لأن

---

[1]- اسبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة ،ص 373.

[2]- يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ،ص124 .

[3]- ليوشتراوس ، جوزيف كرويس ، تاريخ الفلسفة السياسية ، ج1 ،تر : محمود سيد أحمد ، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ،2005، ص668.

هدف كل فرد من هذا الاجتماع هو تحقيق الأمن من الخوف والمحافظة على بقائه وهذا العقد الذي يجب أن يكون بين الأفراد والأسرة الحاكمة يعمل على الحد من سيطرة القانون الطبيعي مما يجعله يقتصر في جماعة معينة[1] .

حيث يرى اسبينوزا بأن " نجاح العقد يكون مرهون بمنفعته فإذا بطلت المنفعة انحل العقد في الحال ولم يعد ساريا ومن ثم يكون من الغباء أن يطلب الإنسان من الاخر أن يلتزم بالعقد إلى الأبد ، دون أن يحاول في الوقت نفسه أن يبين له أن فسخ العقد يضر من نسخه أكثر مما ينفعه وهذه نقطة مهمة في تأسيس الدولة [2]، لقد نادى اسبينوزا بضرورة تجسيد النظام الديمقراطي في تأسيس الدولة حيث أن الهدف الأسمى من تأسيس الدولة هو حماية الأفراد وإعطاء لكل ذي حق حقه ، إلا أن تدخل الدولة في جميع شؤون الأفراد يحد من حريتهم مما يجعلهم يسيرون عل قوانين السلطة الحاكمة وهذا يؤدي بالمجتمع إلى العودة إلى الفوضى أو الحياة الطبيعية الأولى ولتجنب هذا فقد أكد اسبينوزا بأنه يجب على الدولة أن لا تتدخل في جميع شؤون الأفراد وخاصة في المجال التعليمي والعقائدي ، فكلما قلت رقابة الدولة عل العقل ازداد المواطن والدولة صلاحا ويعترف اسبينوزا بضرورة الدولة إلا أنه لا يثق بها ويرى بأن الحكم مفسدة ويفسد الصالحين ولا ينظر بعين الرضا إلى امتداد سلطة الدولة من أجسام الناس وأعمالهم وأفكارهم ، لأن هذا يؤدي إلى توقف نمو الجماعة وموتها [3]، ويذهب إلى القول أن المواطنين لا ينبغي أن يتخلوا عن جميع حقوقهم للملك ، وهو بذلك يرى وبوجه خاص أهمية حرية الرأي.

وبهذا فإن اسبينوزا قد بين في فلسفته السياسية بأن للدولة أهمية بالغة في حماية الفرد من العقبات الطبيعية وحتى الاجتماعية منها ويكون ذلك من خلال فصل الدولة عن كل ما له علاقة بالجانب الديني لأن للدين قوانين تحد من الفكر وتجعله خاضع للأحكام العقائدية ، ولذا يؤكد اسبينوزا أن تأسيس الدولة يجب أن يكون بعيدا عن اللاهوت وأن النظام الذي ينبغي أن ترتكز عليه الدولة هو النظام الديمقراطي [*] ، الذي يعمل على جعل نوع من التواصل بين الفرد والسلطة الحاكمة ، أذ أن الافراد في تصور اسبينوزا يمثلون من وجهة البشرية مفاصل النظام الأزلي في ترتيب هرمي بين الأجزاء والكليات ومن ثمة يستطيع أن يقبل الاختلافات الطبيعية بين

---

[1]- اسبينوزا ؛ رسالة في الاهوت والسياسة ؛ ص373 .

[2]- نفسه ، ص ص370 ،371 .

[3]- برتراند رسل ، تاريخ الفلسفة الغربية (الفلسفة الحديثة)،تر: محمد الشنيطي،الهيئة المصرية العامة للكتاب (د.ط) ،1977، ص 124

[*]- الديمقراطية: لفظ مؤلف من لفظين يونانيين هما ديموس وتعني الشعب ،وكراتوس وتعني السيادة، فمعنى الديمقراطية اذا هي سيادة الشعب وهي نظام سياسي تكون فيه السيادة لجميع المواطنين (أنظر: جميل صليبا ،المعجم الفلسفي ، ج1، مادة الديمقراطية ، دار الكتاب اللبناني، (د.ط)،بيروت ، 1982 ، ص ص569،570).

الأفراد من حيث أنها أساسية في الجانب السياسي وأن الطابع الذي لايمحى لهذه الاختلافات الطبيعية يحتم باستمرار تنوع أنواع الوظائف بين الناس في المجتمع وكذلك تنوع في الآراء [1].

ومن هذا المنطق فإن اسبينوزا يرى بأن الفروق بين الأفراد يؤدي إلى التنوع في نمط التفكير وتنوع العمل بين الناس لذا فإن النظام الأنسب لذلك هو تجسيد الديمقراطية الذي يسمح للأفراد بالتعبير عن أفكارهم وتجسيد أعمالهم دون قيد .

[1]- ليوشتراوس،جوزيف كروبسي،تاريخ الفلسفة السياسية ،ص668 .

الفصل الثالث : النقد الديني عند اسبينوزا

- الله والعالـــــــــــــم .
- العلاقة بين العقل والنقل .
- النبوة والمعجـــــــزات .
- نقـــــــد وتقييـــــــــم .

المبحث الأول : الله والعالم

لقد اهتمت فلسفة العصر الحديث بما يعرف بالدين، كون هذا الأخير قد كان منطويا تحت أنواع المعارف المختلفة, ولعل أبرز من ظهر الدين في فكرهم كفرع مستقل نجد الفيلسوف باروخ اسبينوزا الذي كرس كل جهده من أجل دراسة الدين دراسة دقيقة ومتعمقة على اعتبار أن الدين هو ما يميز الإنسان عن غيره من الكائنات ، وقد اهتمت فلسفة الدين عند اسبينوزا بالبحث في إثبات وجد الله بالأدلة والبراهين، وقد انطلق من فكرته القائلة بوحدانية الجوهر وأن أصل الوجود يعود إلى جوهر واحد وهو الله حيث يعرف اسبينوزا الله " على أنه علة ذاته أي ما تنطوي ماهيته على وجوده ومالا يمكن لطبيعته أن تتصور إلا موجود وهو حر بالضرورة أزلي يحددفعله بذاته "[1].

وبهذا يكون اسبينوزا قد أرجع أصل جميع الموجودات إلى الله وأن الله هو العلة الفاعلة في الكون وأن وجوده مستمد من ذاته أي موجود من العدم ويعرفه كذلك على أنه كائن لا متناهي إطلاقا أي أنه جوهر يتألف من عدد لا محدد من الصفات تعبر كل واحدة منها على ماهية أزلية لا متناهية [2]، فإذا كان للإنسان صفات يمتلكها فإن تلك الصفات ما هي إلا جزء من صفات الله الثابتة, إن ميزة فلسفة الدين عند اسبينوزا تختلف عن غيرها في كونه لم يميز بين العالم الخارجي والله ، حيث جعلها الشيء نفسه ويذهب اسبينوزا إلى القول بوحدة الجوهر على خلاف ديكارت الذي قال بثنائية العقل والمادة ، وبذلك نجده أنه أرجع أصل الكون إلى الله وقسمها إلى قسمين:

الطبيعة الطابعة* والطبيعة المطبوعة**، ويظهر ذلك من خلال ما يلي:

---

[1]- يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، ص 111.

[2]- باروخ اسبينوزا ، علم الأخلاق ، ص 31-32.

*- الطبيعة الطابعة: اصطلاحا مدرسيان منتشران ، فالطابعة تعني عند اسبينوزا الجوهر اللامتناهي وهو الله (أنظر :جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، مادة الطبيعة الطابعة ، ج2 ، دار الكتاب اللبناني، 1982- ص16).

**- الطبيعة المطبوعة: تعني مجموع أحوال الجوهر وأعراضه (أنظر : نفسه, مادة الطبيعة المطبوعة ،الصفحة نفسها) .

❖ **الله بوصفه الطبيعة الطابعة** : أخذ اسبينوزا فكرة الجوهر من فلسفة أرسطو حيث يعرف أرسطو الجوهر على أنه "مالا يستند إلى موضوع ولا يوجد في موضوع" [1]، ويرجع أرسطو إلى أن أصل الكون أو الوجود يكمن في جوهر علة الوجود بأكمله وهو أن الله يشتمل على جميع الجواهر التي تكون سبب في وجود الموجودات ، وأن كل وجود له جوهر يتوقف وجوده عليها، إلا أنها في الأصل تعود إلى جوهرها الثابت والأزلي وهو الله ، وأن وجود الجوهر لا يتوقف بانعدام الموجودات فهو مستقل عنهم فوجوده يعني أنه واجب الوجود[2] ، والجوهر في نظر أرسطو هو العلة الفاعلة في الكون ، وقد وضع أرسطو للجوهر ثلاث معاني منها : " الهيولة " *، "الصور" **، و"المركب"، والمركب من الهيولة والصورة ، فالهيولة هي الجوهر من حيث موضوع للصورة وهي تعاقب عليها الصورة لتكسبها التعين والتحديد لأنها موضوع غير معين فهي قوة لا تدرك بذاتها وهي بحاجة إلى صورة[3] ، ووجود الهيولة مرتبط بوجود الصورة أي أن الصورة هي من تحدد الهيولة وتبين نوعها وكل من الصورة والهيولة لا يمكن أن يخلو منهم أي جسم، كما أن فكرة عودة الأشياء إلى الجوهر كانت سائدة في العصر الحديث، حيث كانت ظاهرة في فكر ديكارت الذي يعرف الجوهر على أنه حين نتصور الجوهر إنما نتصوره موجودا غير مفتقرا إلا إلى ذاته في وجوده [4], ولا بد أن تمتلك الجوهر اللامتناهي صفات لامتناهية وهنا الجوهر "اللامتناهي ذو الصفات اللامتناهية عند اسبينوزا هو الله.

إن قول ديكارت أن الجوهر غير موجود إلا بذاته يعني أنه حر في وجوده ولا يستند إلى غيره من الموجودات ، ثم إن كل الموجودات تتكون من جوهرين جوهر روحي وجوهر مادي وقد خص ديكارت وحدانية الجوهر في الله فقط وهو ثابت وأزلي، أما الأشياء الأخرى فإنها تحتوي على جوهرين مادي وفكري وهما متصلان ولا يمكن أن نجد أحدهما دون الآخر، وإذا كان ديكارت قد أطلق فكرة تكون العالم من جوهرين ، إلا أن الأمر مختلف في نظر اسبينوزا الذي أرجع جميع الموجودات إلى جوهر واحد حيث يعرف الجوهر على أنه " ما يوجد في

---

[1]- ماجد فخري ، أرسطو طاليس ، المطبعة الكاثوليكية ، (د.ط) ،بيروت ، 1958- ص25.

[2]- أمل مبروك ، الفلسفة الحديثة ,، ص98.

*- الهيولة : كلمة يونانية الأصل يراد بها المادة الأولى وهو ما يقبل الصورة وترجع إلى أرسطو ثم أخذها بها المدرسون من بعده (أنظر :إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي ، مادة الهيولة ، ص208).

**- الصورة: هي الشكل الهندسي المؤلف من الأبعاد التي تتحدد بها نهاية الجسم كصورة الشمع المفرغ في قالب فهي شكله الهندسي التي تدل على الأوضاع الملحوظة في الأجسام (أنظر :جميل صليبا، المعجم الفلسفي ،ج1، مادة الصورة ، ص741).

[3] - فردريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة من ديكارت الى ليبنتز ، ص298.

[4]- برتراند رسل ، تاريخ الفسفة الغربية ، ص123.

ذاته ويتصور بذاته أي لا يتوقف بناء تصوره على تصور شيء آخر وتعتبر اسبينوزا أن الفكر والامتداد معا صفات الله ولدى الله كذلك عدد لا متناه من الصفات الأخرى[1].

إن وجود الكون في نظر اسبينوزا مرهون بوجود الجوهر الثابت والأزلي الذي يتمل في الله الذي هو العلة الفاعلة في الوجود وفي هذا الصدد فإن اسبينوزا قد أثبت وجود الله انطلاقا من عدة براهين وهي:

1- **البرهان الأول**: واجب الوجود , بين اسبينوزا أن الله موجود ضروري فوجود الوجود يقتصر عليه وأن وجوده حر ومطلق , فهو موجود من العدم فوجوده لا يرتبط بشيء آخر يكون سببا في وجوده, وإنما وجوده يكون قائما بذاته, أي أنه أوجد ذاته بذاته, كما أن وجود الوجود متوقف عليه لذلك فإن وجوده واجب الوجود [2] , فهو نفس الدليل الأنطولوجي عند ديكارت الذي يجعل وجود الله منشق كونه جوهرا لا متناهيا مستندا في ذلك على قاعدتي الوضوح والتمايز الذي يقوم عليها اليقين الديكارتي .

2- **البرهان الثاني**: عقلانية * الطبيعة, إن جميع الأشياء الموجودة في الكون لها سبب وعلة في وجودها والسبب في وجودها يتمثل في وجود الله حيث يعتبر الله العلة الفاعلة والموجودة لكل الموجودات العالم الخارجي فإذا وجد مثلث فإنه ينبغي أن يوجد سبب لوجوده وكذلك انعدامه له سبب جعله غير موجود ثم إن جميع الأشياء الموجودة لها سبب في وجودها كما أن عدم وجودها له سبب [3].

إن وجود الأشياء في العالم الخارجي مرهون بوجود سبب وهو الله وانعدامها يعود إلى علة معينة أي أن الله هو العلة الفاعلة هي وجود الأشياء وفي الوقت نفسه علة في عدم تحقق وجودها وعليه فليس هناك من يستطيع أن يمنع وجود الله.

---

[1] – اسبينوزا ، علم الأخلاق ، ص 31.

[2] – إبراهيم مصطفى إبراهيم ، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، (د.ط) ،القاهرة ، 2001 ، ص208.

* – العقلانية: هي القول بأولية العقل وتطلق على معنيين, الأول أن كل موجود له علة في الوجود بحيث لا يحدث في العالم شيء الأول مرجع معقول والثاني أن المعرفة تنشأ في المبادئ العقلية والضرورية لا عن تجارب حية (ينظر: جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج1 ، ص).

[3] – ابراهيم مصطفى ابراهيم ، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم ، ص 203.

3- **البرهان الثالث**: القدرة على الوجود, يبرهن اسبينوزا على أن كل الأشياء الموجودة في العالم كان مصدرها من القدرة على ذلك, فإذا اكتسب الشيء القدرة على الوجود يكون وجوده الأصلي ناتج عن قوة فالقدرة على الوجود مرتبطة بالقوة على إثبات الوجود أما إذا فقد القدرة على الوجود فيعني ذلك أنه عجز على أن يكون موجودا.

إن وجود الأشياء كذلك مرتبط بوجود عنصر القدرة المرهون هو نفسه بالقوة ، أي أن كل من القوة والقدرة عنصران أساسيان في الوجود ويترتب عليها استحالة وجود الوجود خارج نطاقها واللامتناهي أقوى من المتناهي بصورة لا متناهية.

4- **البرهان الرابع**: وفي هذا البرهان فقد بين اسبينوزا بأنه لا يختلف عن الثالث في موضوعه، أي أنه إذا كانت القدرة على الوجود مرهونة بوجود القوة ، فإنه يترتب عليه بقدر ما تزداد الأشياء واقعية فإنها بذلك القدرة تزداد قوتها الذاتية على الوجود، وتقتصر القوة الذاتية المطلقة اللامتناهية على كائن واحد وهو الله الذي له قوة ذاتية لا متناهية مطلقة على الوجود[1].

من خلال جملة تلك البراهين التي اعتمد التي اعتمد عليها اسبينوزا في اثبات وجود الله فإننا نجد اسبينوزا قد بين بأن وجود الله أزلي وقديم، كما أن وجوده ينبثق عنه جميع الموجودات حيث يمثل مصدر جميع الموجودات المادية منها الروحية.

إن الله عند اسبينوزا هو جوهر كلي مطلق لا متناهي وهو لا يقبل القسمة وهو واحد أحد أزلي أبدي فهو يتميز بصفة اللامتناهي[*] ، في حين أن فكرة المتناهي تشمل العالم الخارجي أي أن وجود الكون غير أزلي وأبدي فهو مؤقت ، أما اللامتناهي في من صفات الجوهر الأزلي والثابت, أي أن الطبيعة الطابعة تتميز بأنها أبدية وسرمدية[**] ، حين أن الطبيعة المطبوعة تتميز بأنها غير ثابتة وهي متغيرة على اعتبار أن التغير يكون في الأحوال والثبات يكون في الجوهر.

[1] – إبراهيم مصطفى إبراهيم ، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم ، ص203.

[*] – اللامتناهي : ما لا يمكن ان تكون له نهاية ويتميز باللا محدود وهو ما لم يحدد بالفعل واطلقه ديكارت على الله (أنظر : ابرهيم مدكور ،المعجم الفلسفي، ص160).

[**] – سرمدي : ما لا أول له ولا آخر له ، فهو خارج عن مقولة الزمان وموجود بلا بدء وبلا نهاية (أنظر: نفسه، مادة سرمدي ، ص79).

❖ **الأحوال بوصفها الطبيعة المطبوعة**: اعتمد اسبينوزا في إثبات وجود الله على فكرة الطبيعة الطابعة والطبيعة المطبوعة, فإذا كانت الطبيعة الطابعة تشير إلى وجود الله المطلق وكيف أن هذه الطبيعة قد طبعت العالم الخارجي ونقلته من العدم إلى الوجود، وتختلف الطبيعة المطبوعة عن الأولى حيث أنها تمثل جملة من الأحوال والأعراض التي يجري عليها التفاني والزوال ويعرف اسبينوزا مصطلح الأحوال في كتابه الأخلاق في قولة: " أعني بالحال كل ما طرأ وبعبارة أخرى ما يكون قائما على شيء غير ذاته ويتصور شيء غير ذاته" [1].

وهذا القول يعني أن الأحوال تكون عاجزة عن إيجاد نفسها بنفسها, فهي تحتاج إلى جوهر ثابت لإيجادها, كما أن الأحوال لا يمكن أن تتصور ذاتها بذاتها الأمن خلال تصور ذات أخرى تتمثل في الجوهر, فالله موجود وهو لا متناهي, فالمتناهي الذي يجسد في الكون, ووجود الله الأبدي يتمثل في ذاته, لقد ربط اسبينوزا فكرة الطبيعة المطبوعة بالأحوال والتي يقصد بها " ما يطلق على الأشياء الفردية التي نشاهدها في الحياة الاعتبارية مثل الأشجار والجبال ...الخ.

وتتجسد الأحوال في الأفراد الموجودة في الطبيعة, فهي تبدو في الكون أنها منفصلة عن بعضها البعض ولكل منها مجاله الخاص, إلا أنها في حقيقة الأمر متوقف وجودها عن بعضها البعض, فهي مترابطة مع بعض وتشكل حلقة متواصلة مع بعضها, فكل منها متوقف وجوده على الاخر ويؤثر وجوده عليه لأن تلك الموجودات تتصف بصفة النقصان وعدم كمالها يجعلها بحاجة إلى إتمام ذلك النقص, فهي تكون سلسلة اتصال غير مباشر مع بعضها البعض, وأي خلل يطرأ على إحدى الموجودات فإنه حتما يؤثر على بية الموجودات الأخرى, أن ذلك النقص الذي تتميز به موجودات الطبيعة المطبوعة يجعلها في بحث مستمر عن ما تكمل به النقص, إن هذا النقص يدفع تلك الأفراد إلى الإلتحام بصورة حتمية لتغطية النقص, الذي تتصف به, موجودات الطبيعة المطبوعة وتقيق صفة الكمال*، فنجد مثلا أن الإنسان مرتبطة به وحده بذاته، في حين أن الإنسان متصل بالكون والكواكب في سلسلة ترابط اتحادية، إن هذا الاتجاه بين الأشياء له علة واحدة وهو النقص الذي يطرأ على الموجودات.

[1]– اسبينوزا ، علم الأخلاق ، ص 31.

*– الكمال: مصطلح أرسطي يراد به ما يتم مقابل ما لم يتم, والكمال الذي يتحقق بهذا الكمال, ويتمثل في الصورة والذي يخرج ما هو بالقوة إلى ما هو بالفعل ويطلق على النفس التي هي كمال الجسم (أنظر :إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، مادة الكمال ، ص155).

إن الكمال صفة من الصفات التي يتميز بها الله عن بقية الموجودات، ومن أجل النقص فإن الموجودات الناقصة تعمل على تحقيق نوع من الكمال حيث يقول اسبينزا " لما كان الإنسان غير قادر على إدراك هذا النظام بفكرة وكان يتخيل طبيعة بشرية تفوقه قوة بكثير, ولا يرى أي مانع لاكتساب طبيعة تماثلها فإنه قد وجد نفسه مدفوعا إلى تحقيق الكمال ، فهي خيرا حقيقيا لكل من ساعده على ذلك [1].

إن الوجود في فلسفة اسبينوزا مقتصر على وجود الجوهر الثابت المتمثل في الله وإن هذا الكائن المطلق قد تجسد في العالم المادي ، وقد كانت بداية الانطلاقة عند اسبينوزا متمثلا مثلما تطرق إليه ديكارت بأن الله هو الكائن المطلق واللامتناهي، ومع هذا فإن اسبينوزا يخالف ديكارت في وحدانية الجوهر، فإذا كان ديكارت بين بأن الجوهر يتكون من الفكر والمادة فإن اسبينوزا قد اقتصر الجوهر عنده على الله فقط, أما الموجودات فهي أجسام يعود مصدرها الأول إلى الله لأن فلسفة الدين عند اسبينوزا تمركزتا حول وحدانية الجوهر وإثبات وجود الله.

[1]– اسبينوزا ، رسالة في اصلاح العقل ، تر: جلال الدين سعيد ، دار الجنوب للنشر, تونس, 1990.

المبحث الثاني : العـلاقة بين العقل و النقل

إن الحديث عن مسالة العلاقة بين النقل والعقل من بين أكبر المسائل تعقيدا للباحث في تاريخ اللاهوت لأنه في هذه الحال سيظهر التأويل جليا وكملازم للنص اللاهوتي وكمجال بالغ الأهمية في سبيل إتمام النص وإيضاحه بصورة أكبر بحثا عن تغيرات وتبريرات تجعل منه يصل إلى درجة الإقناع العقلي ، بل وأحيانا تجعل منه نصا يفوق العقل ، وهنا نجد أن العاملون في هذا المجال قد انقسموا إلى تيارين : إحداهما يسعى إلى إخضاع العقل لنص والأخر على العكس منه يسعى إلى إخضاع النص للعقل ، وفي هذا الصدد يركز اسبينوزا على شخصيتين كان لهما أثر كبير في التاريخ اليهودي وهما الطبيب الأندلسي الفخار ، وأحد أبرز اللاهوتيين في ذلك الوقت ابن ميمون .

لقد كان مكمن المشكلة في العلاقة بين العقل والنقل انطلاقا من الرأي القائل بعدم قدرة النور الطبيعي على تفسير الكتاب، بل وجب وجود نور يفوق الطبيعة ، هذه النقطة الغير مفهومة طرحت تساؤلات كثيرة أبانت عن تناقضات في هذا التوجه ، لأنه إذا كانت صعوبة فهم الكتاب إلى هذه الدرجة فكيف أمكن من الذين تلقوه الإيمان به ؟ وكيف للكفار أن دخلوا في الدين مادام النور الذي يفوق الطبيعة حكرا على المؤمنين وحدهم ؟ أسئلة كهذه تجعلهم هم أنفسهم يفتقدون حتى للنور الطبيعي محاولين بذلك إخفاء جهلهم حيال النص.[1]

لقد ذهب ابن ميمون والتيار المنادي بإخضاع النص اللاهوتي للعقل إلى القول أن تعارض العقل مع النقل أي المعنى الحرفي يستوجب التأويل معتبرا أن لكل نص معاني عديدة قد تكون متعارضة والأكثر اتفاقا مع العقل هو الأصوب لأن أي تفسير حرفي للنص يظهر أنه مناقض للعقل وجب إعادة تفسيره تفسيرا آخرا وإعادة عملية تأويله، وقد طبق ابن ميمون منهجه هذا وانتهى إلى القول بقدم العالم[2]. وتأويل النص حسب هذه النظرية ، بل إن النص حسب رأيه يدعوا لها صراحة .أي أن ابن ميمون يرفض كل التفسيرات والتأويلات التي تتعارض مع العقل وتناقضه وإعادة تفسيرها .

إن التفسير الذي يذهب إليه ابن ميمون لا يفسر النص بقدر ما يغيره ويتدخل فيه ,وهنا يقوم اسبينوزا بمناقشة مسألتين مهمتين في سبيل شرح لنظرية ابن ميمون وهاتين المسألتين هما قدم العالم وجسمية الله ، ويشير اسبينوزا إلى أن ابن ميمون لم يستطيع البرهنة عقليا على ما تعلق بمسالة قدم العالم ، لأنه لو أمكنه ذلك لفسر كل النصوص المتعلقة بهذه النقطة بناءا على برهانه العقلي وانطلاقا منه ما يجعله يمارس تأويلا تعسفيا على

[1]- منذر شباني ، اسبينوزا واللاهوت ، ص 99 .

[2]- اسبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص 44 .

الكتاب حتى تبدو العقيدة كلها وكأنها صادرة منه . وما يؤكد لاسبينوزا أن ابن ميمون كان سيمارس ذلك النوع من التأويل التعسفي هو أن ابن ميمون قد فعل نفس الشيء عندما برهن عقليا على لا جسمية الله ، مفسرا بذلك كل النصوص المتعلقة بهذه المسألة من خلال برهانه الذي أوجده بنفسه[1]. ويرى بذلك اسبينوزا أن هذه الطريقة وهذا التأويل التعسفي للنص لا فائدة منها في سبيل معرفة ما إذا كان هناك اتفاق بين الكتاب والعقل أم أنهما متناقضان ما يجعلنا لا نعلم صحة أو بطلان المعنى .

ويرفض اسبينوزا المنهج الذي اتبعه موسى ابن ميمون كونه يلمح أو يشير إلى أن هناك أشياء كثيرة يحتويها النص الديني لا يمكن استنباطها بالنور الفطري ، بل وجب استنباطها من خلال نور يفوق الطبيعة ، ما يجعل العامة الجاهلة لطرق الاستدلال والبراهين تحتاج إلى الفلاسفة معتقدة عصمتهم في تفسير الكتاب ، ما ينشأ عنه سلطة كهنوتية جديدة يحترمها العامة[2].

ومن هنا فإن موسى ابن ميمون سيصل إلى ما لم يسعى إلى الوصول إليه ، فبدلا من بناء البراهين على عمق الكتاب وإعجازه وأهميته بالنسبة للمؤمنين فإنه يسير على عكس ذلك تماما ليبرهن على تعقيد الكتاب ويظهره على أنه كتاب لخاصة الخاصة الممتلكين لهبة الفهم والإدراك والمقصودين الحقيقيين من خلال الكتاب[3] ، فهو بهذه النظرية يزيد من أزمة التأويل ويعقدها أكثر فأكثر .

لقد بنى ابن ميمون ومن سار على شاكلته نظرياتهم على جملة من الافتراضات التي لا يمكن البرهنة عليها وتبريرها ، وأول هذه الافتراضات والتي يرى اسبينوزا أنها أهمها هي أن الأنبياء التوراتيين متفقون فيما بينهم على جميع الموضوعات وهم فلاسفة كبار ولاهوتيين عظماء لهم قدرة الاستنتاج كونهم قد عرفوا الحقيقة ، فهؤلاء الذين يحاولون إخضاع النفس للعقل يعانون من وهم كبير من خلال اعتبارهم أن الكتاب المقدس كتابا في المعرفة يحمل في طياته علما مخبأ بين السطور .

[1]– منذر شباني ، اسبينوزا واللاهوت ، ص 100 .

[2]– اسبينوزا ، رسالة في اللاهوت و السياسة ، ص43 .

[3]– منذر شباني ، اسبينوزا واللاهوت ، ص 101 .

أما الافتراض الثاني فينطلق من عدم إمكانية البرهنة على معنى الكتاب بالكاتب نفسه لأن حقيقة الأشياء التي تدعو إليها لا يمكن البرهنة عليها بالكتاب والمشكلة ليست في عدم القدرة على البرهان على الكتاب بالكتاب نفسه ، بل لأن الكتاب لا يتبع منهجا محددا ينطلق من المقدمات ليصل إلى النتائج إلى جانب أنه لا يمتلك قابلية أن يكون كتابا للفهم والتفسير[1].

في حين أن الافتراض الأخير هو الاعتقاد ابن ميمون أن من حقنا تفسير الكتاب وتأويله بطريقة متعسفة طبقا لإرادتنا، فهو إذا يسمح بتفسير النصوص حسب آرائنا السابقة كما يسمح أيضا بتبديل المعاني الحرفية للنصوص ليصل بذلك إلى زعزعت الثقة بالنص الذي عمل على تأويله [2]، أي أنه لن يحصد أي نتائج بل يستنتج أوهامه ويعممها ويصل بعمله إلى أن يدمر النص كما يدمر العقل .

وعلى خلاف التيار الذي سار فيه ابن ميمون نجد شخصية أخرى اعتبرت نفسها مناقضة لابن ميمون وهو الطبيب الأندلسي الفخار ، هذا الأخير الذي ذهب إلى خلاف ما ذهب إليه ابن ميمون ومناديا بضرورة نزول العقل على حكم الكتاب وخضوعه له ، أي السعي إلى إخضاع العقل للنص، فالفخار يمثل ذلك الاتجاه الأصولي الرافض للمجاز في عملية التأويل ، إلى أنه أباحه عندما وجد نفسه في مأزق لما حدث تعارض بين عقيدة الكتاب والنتائج المترتبة عنها[3]. فالكتاب عند الدعوة إلى وحدانية الله والتحدث عن الله بصيغة الجمع فإن نصوص التوراة توحي بوجوب التفسير المجازي انطلاقا من أن دعوة الكتاب صراحة إلى وحدانية الله وليس لأن التعددية مناقضة للعقل ، ونجد أن الفخار يسلك نفس المسلك حيال مسألة جسمانية الله (التجسيد) . وبما أن الكتاب ينفي وبصراحة الجسمية عن الله فإن جميع النصوص التي تتحدث عن الله وتنسب إليه يدين وقدمين وغير ذلك يجب تفسيرها تفسيرا مجازيا ، حتى أن اسبينوزا اعتبر أن الفخار عند محاولته تفسير الكتاب بالكتاب قد حاول محاولة جيدة إلا أنه حاد عن الصواب بعدم استخدامه العقل في الحكم على ما توصل إليه من أفكار .

[1]– منذر شباني ، اسبينوزا واللاهوت ، ص 100 .

[2]– اسبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص 43 .

[3]– منذر شباني ، اسبينوزا واللاهوت ، ص 110 .

لقد ترك الفخار مجموعة من المسائل دون حلول منها على سبيل المثال : ما الموقف الواجب اتخاذه في حديث النص عن الله كانسان فتنسب إليه الأهواء والعواطف ؟ فهذه الأسئلة التي تركها الفخار دون إجابة تكشف عن أزمة التأويل عموما ما يجعل كلا المذهبين يذهبان إلى البطلان ولا اختلاف في أزمة التيار النصي مع أزمة التيار العقلي فكلاهما يزيد الأمور تعقيدا [1] ، وكان الأجدر بهما لإنهاء الأزمة الإعتراف بأن اللاهوت يختص بموضوعات مختلفة عن التي يختص بها العقل ، إذ أن مجال اللاهوت غير مجال الفلسفة وهذا ما يراه اسبينوزا ويخلص إلى أن اللاهوت ليس خادما للعقل ولا العقل خادما للاهوت ، بل لكل منهما مملكته الخاصة ، للعقل مملكة الحقيقة والحكمة وللاهوت مملكة التقوى والخضوع .

[1]– منذر شباني اسبينوزا واللاهوت ، ص 101 .

المبحث الثالث: النبوة والمعجزات:

أ. **النبوة** : يعرف اسبينوزا النبوة على أنها " المعرفة اليقينية التي يوحي الله بها إلى البشر عن شيء ما ، والنبي هو مفسر ما يوحي به الله لأمثاله من الناس الذين لا يقدرون على الحصول على معرفة يقينية "[1]، بناءا على هذا التعريف الذي قدمه اسبينوزا نجد أن هذا الأخير يرى بأن هناك تطابق بين النبوة التي هي المعرفة اليقينية وانطلاقا من نقطة أساسية مفادها أن النبي إنسان وبالتالي فالمعرفة التي تحدث له يمكن حدوثها لأي شخص أخر ، والمعرفة الفطرية التي هي موجودة في عقل الإنسان منذ ولادته فهي أيضا معتمدة على معرفة الله وعلى أوامره الأزلية [2]، من هنا نجد أن المعرفة الفطرية لا تختلف عن المعرفة الإلهية إلا في نقطة واحدة وهي أن المعرفة الإلهية تتعدى حدود المعرفة الفطرية ، فالمعرفة النبوية تتميز باليقين لأن مصدرها هو الله .

إن المعرفة الفطرية لا تقل عن المعرفة النبوية من حيث اليقين الذي تتميز به ولا من حيث المصدر الذي تصدر عنه وهو الله ، إلا إذا كان لنا رأيا ووجهة نظر خلاف ذلك وتخيلنا أن الأنبياء يمتلكون البدن الإنساني لكن الروح ليست إنسانية ، فتتباين إحساساتهم ومشاعرهم عن إحساساتنا ومشاعرنا ، فعلى الرغم من تلك المعرفة الفطرية هي معرفة إلهية إلا انه ليس بالإمكان تسمية من يقومون بنشرها بالأنبياء مع استطاعة كل فرد إدراك تعاليم للمعرفة الفطرية ويفهمها بنفس اليقين دون الاعتماد على الإيمان وحده [3]، ما جعل لذهننا القدرة على بعض الأفكار التي توضح طبيعة الأشياء والتي توجهنا في الحياة العملية اعتبارا من أنه ينطوي موضوعيا على طبيعة الله ويشارك فيها

لقد أراد اسبينوزا من خلال تصوره ذلك أن يبين عدم وجود اختلاف بين الأنبياء وغيرهم من البشر ، وبالتالي عدم وجود أي فروقات بين كل من المعرفة الفطرية الإلهية وعدم اقتصار نشر تلك المعرفة الإلهية على الأنبياء فقط ، بمعنى انه بمقدور أي شخص كان إدراك ما يدركه النبي ، على اعتبار أن الأنبياء لم يمنحوا عقلا أكمل من العقول لدى عامة الناس ، وإنما منحوا قوة الخيال[4] . فالأنبياء لا تختلف عقولهم عن عقول العامة بل الاختلاف في كونهم يمتلكون مخيلة أقوى .

---

[1] – اسبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص120 .

[2] – وهيبة بونويقة واخرون ، الفكر السياسي عند اسبينوزا ، مذكرة ليسانس، غير منشورة ، قسم الفلسفة ، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة المسيلة ،2012-2013، ص23.

[3] – اسبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص121 .

[4] – يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، ص 118.

وهنا لابد من الرجوع إلى ما نقله الأنبياء لنا شفاها أو كتابة لأننا من خلال عملية فحص الكتب المقدسة يظهر لنا أن الله قد أوحى للأنبياء ، أما من خلال الكلام أم من خلال المظاهر الحسية أو بالطريقتين معا ، وقد يكون ذلك الكلام والمظهر الحسي حادثا بالفعل لم يكن في مخيلة النبي لحظة سماعه أو رؤيته وقد نجد في أحيان أخرى انه مجرد خيالات وتكون في هذه الحالة مخيلة النبي مهيأة تجعله يتخيل سماع أصوات أو رؤية أشياء بوضوح ، فقد أوحى الله الشريعة إلى موسى بصوت حقيقي وهو الصوت الوحيد الذي سمعه موسى في تاريخ النبوة ، أما الصوت الذي سمعه دانيال فهو صوت خيالي سمعه وهو نائم ، كما يرى اليهود أن الوصايا العشر لم تبلغ حرفيا بل المعنى .

إلى جانب تلك الطرق أو الأساليب في الوحي من خلال الصوت أو الكلام ، فان الله قد ظهر ظهورا حسيا لإظهار غضبه لداوود فرأى بذلك داوود ملكا ممسكا بسيف رغم إنكار ابن ميمون لذلك ، وكانت هناك وسيلة أخرى أيضا للاتصال المباشر ودون مظهر حسي ، وهذه الدرجة لم يصل إليها أي مخلوق إلا المسيح واتصاله بالله اتصال الروح بالروح ، ما جعل اسبينوزا يعتبر النبوة مجرد انطباعات حسية تتعلق بالخيال ويكون به النبي صور حسية وان النبوة أسطورة من منبع الخيال .

ب. **المعجزة** : إن الحديث عن المعجزات يقودنا إلى ما اعتاد الناس إطلاقه على ما جهل سببه واعتباره عملا إلهيا يتعدى حدود فهم الإنسان وان قدرة الله تظهر في ذلك العمل الإلهي الخارق للعادة ، واعتباره أنه أوضح برهان على وجود الله كونه الخروج الظاهر على نظام الطبيعة ويبدو لهم من فسر المعجزات بالعلل الطبيعية وسعى نحو معرفتها بوضوح وكأنه قد الغي الله وأسقط العناية الإلهية وبالتالي فالعامة يسمون حوادث الطبيعة الخارقة للعادة معجزات أو أعمال الله مفضلين بذلك جهل العلل الطبيعية للأشياء [1].

لقد استعمل اسبينوزا في دراسته للمعجزة النور الفطري على اعتبار أن المعجزة موضوع فلسفي يمكن دراسته من خلال الاعتماد على النور الفطري ، فالله والطبيعة عند العامة طرفان متناقضان ما يعني أن هناك طرفان أو قوتان متمايزتان قوة الله وقوة الطبيعة وتسمي العامة كما يرى اسبينوزا عجائب الطبيعة ثابت لا يتغير فعقل الله وإرادته شيء واحد وان حدوث أي شيء مخالف لهذه القوانين فهنا يناقض عقل الله وطبيعته ، ونعتبر المعجزة عملا من أعمال الطبيعة لأننا نجهل عللها ولا نستطيع إدراكها بالنور الطبيعي ، وبالتالي بإمكاننا تفسير تلك المعجزات التي يرويها الكتاب لو عرفنا عللها الطبيعية [2] ، وهنا لا نستطيع أن نعرف

[1] اسبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص 215.

[2] نفسه ، ص 67.

وجود الله أو ماهيته أو عنايته عن طريق المعجزة ونستطيع أن نعرف ذلك من خلال نظام الطبيعة الثابت الذي لا يتغير .

لقد ذهب اسبينوزا إلى القول أن المعجزات التي يستند إليها اللاهوتيون في صحة الديانات تتناقض مع النظام الإلهي وبالتالي فهي متناقضة لنفسها وقد انطلق في رفضه لهذه الفكرة انطلاقا من النقاط التالية :

- احتفاظ الطبيعة بنظام أزلي لا يتغير وبالتالي عدم حدوث شيء يناقض الطبيعة ، وهنا فالقانون الإلهي وكل ما يشاؤه الله أو يحدده يتضمن ضرورة وحقيقة أزليتين وهذا من خلال عدم تميز ذهن الله عن إرادته .
- عدم القدرة على معرفة ماهية الله أو وجوده ولا معرفة العناية الإلهية من خلال المعجزات في حين أنه بمقدورنا معرفتها من خلال قانون الطبيعة الثابت ، فالمعجزات أن عرفناها بأنها أعمال مناقضة لنظام الطبيعة يستحيل أن تكون وسيلة لإثبات وجود الله .
- يعني الكتاب بأمر الله والعناية الإلهية نظام الطبيعة ذاته بوصفه نتيجة ضرورية للقوانين الأزلية ، فعندما يقول الكتاب أن هذا الشيء أو ذلك حدث بالفعل طبقا لقوانين الطبيعة ونظامها لا بان الطبيعة قد توقفت عن الفعل كما يعتقد العامة .
- الطريقة التي يجب تفسير المعجزات وفقها ويرى اسبينوزا أن فعل هذا خشية إساءة فهم معجزة ما تثير الشك في أن الكتاب مناقض للنور الفطري ويشير إلى أن المعجزات لا تبدو شيئا جديدا إلا لجهل الناس لأن الكتاب يعلمنا ذلك فهو لا يقول في أي من نصوصه أن شيئا ما يحدث في الطبيعة مناقض لقوانينها فلا ينبغي أن ندخل في الكتاب هذه الخرافة ، وحتى يتم تفسير المعجزة يجب معرفة أفكار الرواة الأوائل وأراء المدونين لها ثم الفصل بين هذه الأفكار والتمثلات الحسية وبين شهادة الواقع إلى جانب دراسة أساليبهم في البيان .

فلقد ذهب اسبينوزا إلى القول أن المعجزات التي يستند إليها اللاهوتيين في صحة الديانات تناقض مع النظام الإلهي وبالتالي فهي متناقضة لنفسها ، وانطلق في رفضه الفكرة انطلاقا من تبيان النقاط التالية :

- احتفاظ الطبيعة بنظام أزلي لا يتغير وبالتالي عدم حدوث شيء يناقض الطبيعة .
- عدم القدرة على معرفة ماهية الله أو وجوده ولا معرفة العناية الإلهية من خلال المعجزات في حين انه بمقدورنا معرفتها من خلال قانون الطبيعة الثابت .
- يعنى الكتاب بأمر الله والعناية الإلهية نظام الطبيعة ذاته بوصفه نتيجة ضرورية للقوانين الأزلية [1].

[1] - اسبينوزا ، رسالة في اللاهوت و السياسة ، ص 214.

المبحث الرابع: نقد وتقييم

أهم الانتقادات التي وجهت لفلسفة اسبينوزا الدينية:

لقد ذهب البعض من الفلاسفة والمؤرخين الذين يرون بأن فلسفة اسبينوزا تمثل ذلك النسق المتكامل الذي كان له أثر على فلسفة العصر الحديث، وحتى الفلسفات المعاصرة من خلال تجسيدها لعدة عناصر جديدة منها المنهج الهندسي وفكرة وحدانية الوجود وهذا لم يمنع من وجود البعض الذي ينظرون إلى فلسفة اسبينوزا على أنها لم تأتي بالجديد، كما أن لهذه الفلسفة تجاوزات غير منطقية وخاصة في الجانب الديني، إذ أنه أكد على أن الله والطبيعة شيء واحد إضافة إلى تجسيد فكرة مبدأ الضرورة، وفي هذا الاتجاه نجد ليبنتز الذي كان من أشد المنتقدين لفكر اسبينوزا معتبرا إياه فكرا مبهما وغامض لا يعبر عن الفلسفة ، فيقول: " مذهب رديء من شأنه في أحسن الأحوال أن يبهر العامي ولا يمكن الدفاع عنه ومخالف للصواب" [1]

وفي نظر ليبنتز أن منهج اسبينوزا لا يؤدي إلى اليقين، كما أن ليبنتز عارض فكرة اسبينوزا التي تدعوا الأفراد إلى تجسيد القيم الأخلاقية وضرورة إطاعتها بعيدة عن أي عقيدة دينية، فإذا كان اسبينوزا قد رفض هذه العقيد على أساس أن كل ما هو ديني يقف عائق أمام الحرية الفكرية ، فإن ليبنتز يؤكد على ضرورة هذا العقيدة ويجب أن تجسد في المجتمع مشيرا في الوقت نفسه إلى أن رسالته في اللاهوت والسياسة خطر على العقيدة المسيحية ووجوب تصدي العلماء لها وحماية المسيحيين مما جاء فيها من سموم تهدد الدين[2].

وبهذا فإن ليبنتز يرى أن كتاب اسبينوزا رسالة في اللاهوت والسياسة على أنه تهديد لمقومات العقيدة المسيحية لاحتوائه على نصوص تدعوا إلى التحرر الفكري وبالتالي التمرد على الأسس التي تنادي بها المسيحية والواجب تطبيقها لا معارضتها التي تدل على الكفر والتمرد على هذه العقيدة المقدسة، وكانت معارضة ليبنتز لاسبينوزا خاصة في المجالين الديني والسياسي على اعتبار أنه زعزع الثقة في العقيدة باسم حرية التفلسف .

لقد أراد اسبينوزا دعوة البشر إلى طاعة المبادئ الأخلاقية الأساسية التي خلالها يتحقق الخلاص، وهذا ما رفضه ليبنتز مشيرا إلى خلاف ذلك ومعتبرا أن كل الأخلاق تتأسس على المسيحية حيث يدافع عنها ويقول: "إن هذا المبادئ الأخلاقية الاجتماعية لن تكون كافية بدون المسيحية ".[3]

---

[1]- جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة، ص361.

[2]- ج.ف .ليبنتز، أبحاث جديدة في الفهم الإنسان، تر: أحمد فؤاد كامل، دار التوفيق النموذجية للطباعة والجمع الأولي , الأزهر، مصر ،(د.ت)، ص 44.

[3] - نفسه ، الصفحة نفسها.

وهنا يرى ليبنتز أن المسيحية هي العقيدة التي تحوي كل القيم الاجتماعية والأخلاقية من خلال تأكيد الكتاب المقدس على هذه القيم التي على كل فرد ينتمي إلى مجتمع مسيحي تطبيق تلك التعاليم التي جاءت بها المسيحية، هذه الأخيرة هدفها ليس ديني فحسب إنما هو أخلاقي اجتماعي، فرفض اسبينوزا للديانة المسيحية كونها تقف عائق أمام الحرية الفكرية جعل ليبنتز يقف موقف الرافض لهذا التوجه ويؤكد أن العقيدة المسيحية تسعى نحو بلوغ الفرد غاياته في إطار ديني ، كما رفض ما ذهب إليه اسبينوزا عن وحدة الله والطبيعة من جهة ووحدة الروح والجسد من جهة أخرى إلى جانب رفضه تفسير اسبينوزا للمعجزات والقول بأن المعجزات والجهل متساويان لأن بالمعجزة يزداد الغامض غموضا فهي أساطير وخرافة لا غير .

من جانب آخر نجد الفيلسوف "ريشنباخ" يقر بأن اسبينوزا له سمعة طيبة بين الفلاسفة، وهذا يرجع إلى شخصيته أكثر من إلى فلسفته، فإذا ما جردنا مذهبه الأخلاقي من صورته المنطقية لبدا لنا أن العمل العقلي أسمى الفضائل،فعرض مذهبه الأخلاقي بصورة منطقية أثبت أن إعجابه بالمنطق يفوق مقدرته في مجال المنطق والواقع أن منطق استنتاجه هزيل ولا يمكن أن تفهم هذه الاستنتاجات بدون كثير من الإضافات الضمنية والتفسيرات النفسية [1]

وانتقد ريشنباخ مذهب اسبينوزا في الأخلاق الذي اعتمد فيه على منهج علمي عقلي ما أدى إلى عدم فهمه بوضوح ، فاسبينوزا يشير إلى أن التحليل العقلي العلمي لسلوك الأفراد يؤدي إلى تحليله يقينا وبشكل صحيح، إلا أن ريشنباخ يرى عكس ذلك على اعتبار أن ذلك التفسير العقلي العلمي يزيدها غموضا [2]، وبالتالي يجب تفسير السلوك وفق منهج نفسي يجعلها واضحة أكثر أي أن اسبينوزا يعتمد على منهج غير متسق فلا يوجد تناسق بين المقدمات والنتائج المتوصل إليها فتلك النتائج غير مشار إليها في المقدمات .

[1]- هانز ريشنباخ ، نشأة الفلسفة العلمية، تر: فؤاد زكريا ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية ،(د.ت) ، ص64.

[2]- نفسه ، ص65.

تقييم لفلسفة اسبينوزا الدينية :

على الرغم من الانتقادات التي وجهت لاسبينوزا الدينية ، إلا أن فلسفته لم تكن تلك الفلسفة التي تعبر عن أفكار مؤسسها فقط ، أو تنص على قضايا العصر الحديث فحسب ، فقد كان لها بالغ الأثر في فلسفة العصر الحديث وحتى المعاصرة لأن فلسفة اسبينوزا تطرقت إلى جميع المجالات وعالجت قضايا لم يسبق الإشارة لها من قبل الفلاسفة والمفكرين قبله .

ولعل من ابرز الفلاسفة الذين تأثروا بفكر اسبينوزا الألماني هيجل (1770-1831)الذي يرى أن فلسفة اسبينوزا هي نقطة مركزية في فلسفة العصر الحديث وتشكل مركزية الفلسفة الحديثة حيث يقول : " إنها نقطة تصالب في العصر الحديث والإحراج إما أن تكون اسبينوزا أو لا فلسفة ، ومتى يبدأ المرء بالتفلسف فلا بد له أن يكون اسبينوزا "[1] .

وبهذا يكون هيجل قد بين بأن فلسفة اسبينوزا هي النقطة المركزية لبداية الفلسفة الحديثة وقد استطاع اسبينوزا بفكرة التحرر من كل القيود أن يكون مرجعا للكثير من الفلاسفة والمفكرين في العصر الحديث والمعاصر، وقد تأثر هيجل بفكرة اللامتناهي التي قال بها اسبينوزا وحصرها في الجوهر الأزلي الثابت وهو الله ، والتناهي صفة الموجودات التي لها علة في الوجود .

ومن بين الفلاسفة الذين تأثروا بفلسفة اسبينوزا الفيلسوف "انجلز" (1820-1895) وخاصة بالفكرة القائلة بوحدانية الجوهر ، فلقد اعتمدت فلسفة اسبينوزا على وحدة الوجود التي جاءت كرد على الثنائية الديكارتية ، فكانت فكرة وحدة الوجود تؤكد أن جميع الموجودات متوقف وجودها على جوهر واحد وهو الروح الذي ينحل في الله ، وأن الجوهر هو علة في إثبات وجود الأشياء في الكون ويؤكد انجلز أنه يؤمن بفكرة اسبينوزا القائلة بأن الامتداد والفكر صفتان لجوهر واحد[2] .

لقد شكلت فلسفة اسبينوزا في اللاهوت والسياسة منعرجا هاما لتناولها الجانب السياسي من جهة والجانب الديني من جهة أخرى ، رغم أن اسبينوزا قد بين بأن الدين يجب أن يبقى منفصلا عن جميع المجالات الأخرى وأن ينحصر الدين في التدين فقط ، وبهذا يكون الدين أمرا شخصيا يخص الفرد في علاقته مع الله ، لأن وجود الدين في مجالات السياسة والعلم يؤدي إلى السيطرة على الفكر ويرجع كل الأفعال إلى أسس دينية ، كما أنه يحدد ما يجب أن يقوم به الأفراد و ما لا يجب أن يفعلوه ، وبهذا يكون الدين قد عمل على تقييد العقل

[1]- فؤاد زكريا ، اسبينوزا ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، ط1، مصر ، 2008 ، ص 102 .

[2]- نفسه ، ص 105 .

والسيطرة عليه وهذا ما جعل الكثير من الفلاسفة والمفكرين يتأثرون بهذا الفكر الشامل وهو الفكر الذي لفت النظر إلى أهم قضية وهي الدين وكيف أن الدين يحد من الحرية الفكرية .

ومن بين الفلاسفة المتأثرين به نجد الفيلسوف فخت (1726-1814) ويتجلى ذلك في فكرته على اللاهوت والسياسة ، حيث كان "فخت "يميل إلى هذا الفكر خاصة في مبدأ الانتقال من الله إلى الإنسان ، فأثبت اسبينوزا أولا وجود الله ثم تطرق إلى إثبات الموجودات الأخرى على أساس أن الله هو علة الوجود [1] ، وقد بدأ فخت من هذه الطريقة التي بدأ منها اسبينوزا ما جعل فلسفة فخت إمتدادا لفلسفة اسبينوزا التي تطرقت إلى جميع المجالات فعالجت كل القضايا السياسية والدينية .

[1]- فؤاد زكريا ، اسبينوزا ، ص102.

الخاتمة

خاتمة :

في ختام بحثنا هذا ومن خلال ما لسف ذكره فإننا نخلص إلى عدة نتائج مفادها:

- أن فلسفة الهولندي باروخ اسبينوزا لم تكن منفصلة عن سابقتها ، وهي وليدة جملة من العوامل والظروف التي ساهمت بشكل أو بآخر في تحديد التوجه الفكري لاسبينوزا على غرار ذلك التحول الذي عرفته الذي عرفته أوروبا مع بزوغ فجر النهضة والتحول في نمط الحياة هناك في شتى المجالات وخاصة الجانب الفكري وحركة الإصلاح الديني التي ثارت على ممارسات الكنيسة وسيطرتها على جميع مظاهر حياة الفرد الأوروبي ، هذا الأخير الذي بدأت رحلة تحرره مع ظهور أصحاب النزعة الإنسانوية التي جعلت الإنسان في مركز اهتمامها ، وما ساعده أيضا في توجهه ذلك هو ظروف الحياة في هولندا التي ساعدت في نوع من حرية التفكير حتى أنها كانت ملجأ للمضطهدين في بلدانهم .
- على الرغم من الدور الذي لعبته تلك الظروف في تأسيس لفكره إلا أن هناك سبب آخر كان له بالغ الأثرفي فلسفة اسبينوزا وهو تأثره بالعقلانية الديكارتية ، والميزة الأساسية التي أثرت فيه هي اعتماده على المنهج خاصة في مجال المعرفة ، وسار على هذا المنهج الذي جسده في كتاب علم الأخلاق المبرهن عليه هندسيا .
- يبدو أن اسبينوزا إستفاد من منجزات البيئة الفكرية التي كانت سائدة في عصره والداعية إلى ضرورة إتباع العقل في قراءة الظواهر الفكرية ، ليشكل خطابه في مسألة النص المقدس حدثا هاما عبر إخضاعه الكتاب المقدس للنقد التاريخي داعيا فيه إلى القراءة الداخلية للنص إنطلاقا من وجوب الإحاطة باللغة التي دونت بها أسفار الكتاب ليشكل بذلك تصورا جديدا لمعنى النص المقدس ، ومقترحا منهجا لتفسير الكتاب لا يختلف عن منهج تفسير الظواهر الطبيعية يدرس النص مثله مثل أي شيء في الطبيعة للوقوف على المعنى الحقيقي .
- لقد سعى اسبينوزا إلى رفع الوصاية التي فرضتها الكنيسة ولزمن طويل مؤكدا على ضرورة أن يطوق العقل فضاء العقيدة والنصوص المقدسة ويكسر الحاجز بينه وبين الخطاب الذي بقي عصيا على العقل لفترة طويلة ، ليعمل العقل على بعث الدين الحقيقي وتطهير النصوص المقدسة من الشوائب التي التصقت بها وتسببت في انحرافها عن رسالتها في توجيه السلوك الإنساني وتهذيبه .
- دعوة اسبينوزا إلى تحقيق النظام الديمقراطي لأنه يرى فيه النظام الوحيد الكفيل بتجسيد الحرية الفكرية في مجتمع حر يقوم على تبادل الأفكار ويهدف إلى زرع علاقات إجتماعية وطيدة ، وتحقيق العدالة والحرية

ويتحقق ذلك من خلال فصل الدولة عن كل ما له علاقة بالجانب الديني الذي يرى أنه يقيد حركة الفكر .

- اهتمت الفلسفة الدينية عند اسبينوزا بالبحث في وجود الله بالبراهين والأدلة انطلاقا من فكرته القائلة بواحدية الجوهر ، أي أن أصل الوجود يعود إلى جوهر واحد هو الله ، والله هو العلة الفاعلة في الكون فقد أرجع أصل الكون إلى الله .
- يشير اسبينوزا في مسألة العلاقة بين العقل النقل أن لكل منهما مملكته الخاصة بعيدا عن الآخر ، فجعل الحقيقة مملكة العقل و التقوى مملكة اللاهوت ليفصل بين التيارين ، بين من يريد إخضاع العقل للنص وفي مقابل ذلك من يريد إخضاع النص للعقل .
- يعتبر اسبينوزا أن النبوة مجرد انطباعات حسية تتعلق بالخيال وهي مجرد خرافة وأسطورة ، أما عن المعجزة فهو يرى أن الأفعال التي تحدث مخالفة لنظام الطبيعة ويسميها الناس معجزة إنما لجهلهم بعللها .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أ) المصادر:

1- اسبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة ، تر: حسن حنفي ، دار التنوير للطباعة والنشر،ط1، بيروت 2005.

2- اسبينوزا ، رسالة في اصلاح العقل ، تر: جلال الدين سعيد ، دار الجنوب للنشر، تونس 1990.

3- اسبينوزا ، علم الأخلاق ، تر : جلال الدين السعيد ،دار النشر والتوزيع ،تونس ، (د.ت) .

ب)المراجع:

1- إبراهيم مصطفى إبراهيم ، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، (د.ط) ،القاهرة ، 2001.

2- أمل مبروك ،الفلسفة الحديثة ، التنوير لطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط) ، بيروت ,2001.

3- إميل يريبه ، تاريخ الفلسفة ، ج4 ، تر : جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر،ط2 ,بيروت ,1993.

4- إسحاق عبيد ،عصر النهضة الأوربية ، دار الفكر العربي،(د.ط) ، القاهرة ، 2006 .

5- برتراند رسل ، تاريخ الفلسفة الغربية (الفلسفة الحديثة)،تر: محمد الشنيطي،الهيئة المصريةالعامة للكتاب (د.ط) ،1977.

6- جوزايا رويس ، روح الفلسفة الحديثة ، تر: احمد الأنصاري ، مراجعة: حسن حنفي، المجلس الأعلى للثقافة،(د.ط)، القاهرة ،2003 .

7- جون كوتنغهام ، العقلانية ، تر: محمود منقذ الهاشمي ، مركز الإنماء الحضاري ،ط1 ،سوريا ، 1997 .

8- ج.ف .ليبنتز ، أبحاث جديدة في الفهم الإنساني، تر: أحمد فؤاد كامل، دار التوفيق النموذجية للطباعة والجمع الأولي ، الأزهر، مصر، (د.ت).

9- جنفياف روديسي لويس ، ديكارت والعقلانية ،تر: عبده الحلو ، منشورات عويدات، ط 4 بيروت ،1998.

10- زكي نجيب محمود ، قصة الفلسفة الحديثة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (د.ط) ، القاهرة.

11- شوقي عطا الله : عبد الله عبد الرزاق إبراهيم ، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة،المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، (د.ط) القاهرة ،2000.

12- عبد الحميد البطريق، عبد العزيز نوار ، التاريخ الأوروبي الحديث ، دار الفكر العربي ،(د.ط) ، القاهرة، 1998.

13- عبد العزيز سلمان نوار ، محمود محمد جمال الدين : التاريخ الأوربي الحديث ، دار الفكر العربي ، (د.ط)،القاهرة ،1999 .

14- غنار سكيربك ،نلز غيلجي ، تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة إلى القرن العشرين، تر: حيدر حاج إسماعيل ، مراجعة نجوى نصر ، المنظمة العربية للترجمة ،ط1، بيروت ،2012.

15- فريدريك كوبلستون ، تاريخ الفلسفة من ديكارت إلى ليبنتز ، تر: سعيد توفيق ، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام ، المجلد4 ، المركز القومي للترجمة ،ط1، 2013.

16- فؤاد زكريا ، اسبينوزا ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، ط1، مصر ،2008.

17- ليوشتراوس ، جوزيف كرويس ، تاريخ الفلسفة السياسية ، ج1 ،تر : محمود سيد أحمد ، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ،2005.

18- ماجد فخري ، أرسطو طاليس ، المطبعة الكاثوليكية ، (د.ط) ،بيروت ، 1958

19- منذر شباني ،اسبينوزا واللاهوت ،منشورات وزارة الثقافة والهيئة العامة السورية للكتاب (د.ط)، دمشق ، 2009.

20- هانز ريشنباخ ، نشأة الفلسفة العلمية، تر: فؤاد زكريا ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية،(د.ت).

21- ول ديورنت ، قصة الفلسفة ، تر: فتح الله محمد المشعشع ، مكتبة المعارف ، ط6 ، بيروت ، 1988.

22- يحي هويدي ،قصة الفلسفة الغربية ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ، (د.ط) ، القاهرة ،1993.

23- يوسف كرم , تاريخ الفلسفة الحديثة , دار المعارف , ط5 ، القاهرة , (د.ت).

ج) المعاجم والموسوعات :

1 – إبراهيم مدكور : ، المعجم الفلسفي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ،(د.ط) القاهرة .

2- جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج1، دار الكتاب اللبناني، (د.ط)،بيروت ، 1982،.

3- جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج2، دارالكتاب اللبناني، (د.ط)، بيروت ، 1982،.

4- جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة ، دار الطليعة ،ط3 ،بيروت، 2006 .

5- مراد وهبة ، المعجم الفلسفي ، دار قباء الحديثة ، (د.ط)، القاهرة ، 2007.

6- عبد الرحمن بدوي ، موسوعة الفلسفة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،ط1، بيروت ، 1984.

الجرائد والمجلات :

1- هاشم صالح ، كيف نشأت النزعة الإنسانية في الفكر الأوروبي ؟ ، الشرق الأوسط ، 15 ديسمبر 2015، العدد 13531.

2- عبد الله السيد ، مجلة الأحياء الحق الطبيعي ومقاصد الشريعة ؛الرابطة المحمدية للعلماء ،المغرب ،2016.

3- زكي نجيب محمود ، فلسفة اسبينوزا ، مجلة الرسالة ، عدد 15، أغسطس 1933، القاهرة .

الرسائل الجامعية :

1– مصطفى كحيل ، الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون ،أطروحة دكتوراه منشورة ، قسم الفلسفة ، كلية العلوم الإنسانية ،جامعة منتوري قسنطينة 2007.

2– وهيبة بونويقة واخرون ، الفكر السياسي عند اسبينوزا ، مذكرة ليسانس، غير منشورة ، قسم الفلسفة ، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة المسيلة ،2012-2013.

فهرس المحتويات

مقدمة :

الفصل الأول : الخلفية الفكرية لفلسفة اسبينوزا الدينية .

- عصر النهضة .....4.
- النزعة الإنسانوية .....10.
- الأوضاع الإقتصادية والسياسية والفكرية والدينية في هولندا .....14.
- فلسفة اسبينوزا والعقلانية الديكارتية .....17.

الفصل الثاني : جوهر الدين عند اسبينوزا و الإنتقال من الأخلاق إلى السياسة .

- النص الديني ولغة الكتاب .....21.
- تطبيق المنهج على النصوص الدينية.....26.
- الأخلاق والدين .....33.
- الدولة العلمانية .....37.

الفصل الثالث : النقد الديني عند اسبينوزا .

- الله والعـــالم .....43.
- العلاقة بين العقل والنقل .....49.
- النبوة والمعجزات .....53.
- نقد ونقييـــم .....56.

خاتمة :.....61.

قائمة المصادر والمراجع :.....64.

فهرس المحتويات :.....67.